أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير
أ. أيّوب شهوان

اسرة التحرير
الأرشمندريت نيقولا أنتيبا
الأباتي بولس تنّوري
أ. أسعد جوهر
أ. موسى الحاج
السيّدة ماري عطاالله خليفة
أ. جورج خوام
الأخت باسمة خوري
أ. نعمة الله الخوري
أ. لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
د. منى عبيد
أ. جان عزام
أ. انطوان عوكر
أ. يوسف فخري
أ. بولس الفغالي
أ. انطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
أ. ريمون الهاشم

في هذا العدد

الافتتاحيّة: خلفيّة المسيرة من شاول اليهودي إلى بولس المسيحي ـ رئيس التحرير ٢
من إيمان ابراهيم إلى إيمان يسوع (روم ١ في تفسير مار افرام) ـــــ الخوري بولس الفغالي..... ٧
الطاعة لله والإيمان به (روم ١:٥) ـــــ أ. جورج خوّام..... ٩
التبرير عربون الخلاص (روم ١:٥-١١) ـــــ جهاد الأشقر..... ١٣
آدم والمسيح (روم ١٢:٥-٢١) ـــــ الخوري نعمةالله الخوري ... ١٧
الحياة في المسيح (روم ٦) ـــــ الأباتي بولس تنّوري..... ٢١
خلاص إسرائيل بالمسيح وليس بالشريعة (روم ١:١٠-٢١) ـــــ د. منى عبيد..... ٢٥
خلاص الأمم (روم ١١:١١-٢٤) ـــــ الخوري جان عزّام ٣١
الحياة الجديدة مع المسيح (روم ١:١٢-٨) ـــــ ماري عطاللّه خليفة..... ٣٥
توجيهات بولس إلى الرومانيّين مشروع حياة (روم ٩:١٢-٢١) ـــــ أ. لويس الخوند ٣٩
«المحبّة ملء الشريعة» (روم ١٠:١٣) ـــــ الخوري بولس الفغالي..... ٤٥
أولويّة العمل ضمن ديناميّة الثالوث (روم ١٣:١٤-٢٣) ـــــ أ. أنطوان عوكر ٥١
التعايش الأخوي (روم ١:١٤-١٣:١٥) ـــــ الأخت باسمة الخوري..... ٥٥
البيت غازو الماروني ـــــ الأخت ماري-لويز شهوان... ٦١
ابن الطيّب: الرسالة إلى الرومانيّين ـــــ أ. أيّوب شهوان ٦٥

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحية

الرسالة إلى الرومانيّين

وخلفيّة المسيرة من شاول اليهودي إلى بولس المسيحي*

١ - مقدمة

لا شك اليوم يدور حول كاتب الرسالة إلى الرومانيّين؛ فهذا الأخير يدعو نفسه «بولس»، وهو بوضوح الشخص المعروف منذ بداية المسيحيّة على أنّه «الرسول بولس».

هناك بعض الجدل حول تاريخ كتابة الرسالة، وجدل أقلّ حول مكان صدورها. ما يهمّ أكثر من المعطيات المتعلّقة بالتاريخ والمكان، في سبيل فهم الرسالة، هو بالأحرى خلفيّتها ضمن حياة بولس ونشاطه، والمسألة التي يُعالج.

هناك عناصر ثلاثة ذات أهميّة خاصّة، من دونها يبقى الكثير في الرسالة غير واضح أو أيضاً غير قابل للتفسير، هي التالية :

٢ - بولس اليهودي

وُلد بولس وترعرع يهوديّاً. لم ينقطع إطلاقاً عن أن يكون كذلك. هذه النقطة هي أحياناً موضوع جدل، ولكن فقط بسبب جهل الحقيقة. إنّ شهادة بولس الخاصّة حول ذاته (١١:١ – «إسرائيلي، من نسل ابراهيم، من قبيلة بنيامين»؛ أيضاً فيل ٣:٥) لا يمكن أن توضع جانباً من دون سبب وجيه، علماً أن لا وجود لأسباب من هذا النوع. لا سبب أيضاً للشك في المعلومات التي يعطيها سفر أعمال الرسل، لأنّ بولس ولد بالفعل في طرسوس من أعمال كيليكيا (أع ٢٢:٣).

ولكن إذا كان الأمر على هذه الحال، فبإمكاننا أن نستخلص أمرين من معطيات أخرى :

أ - نسبه

- عبراني

يدعو بولس نفسه «عبرانيّاً ابنَ عبرانيّ[1]» (فيل ٣:٥). في إطار الشتات اليهودي الذي ينبغي أن يعني أنّ بولس قد ترعرع على أن يكون واعياً لميراثه كعضو في الأمّة اليهوديّة وفخوراً به. يعطي بولس ذاته سلسلةً من التسميات التي تبرز اهتمامه بأصوله، كما بأمانته لهذه الأخيرة. فهو «عبراني»، و«إسرائيلي»، و«من نسل إبراهيم»[2]

■ James D. G. Dunn, *Romans 1-8* (Word Biblical Commentary; Word Books, Publisher; Dallas, Texas 1988) XXXIX-XLIV.

١ – تدل كلمة «عبرانيّين» على أولئك الذين كانوا قبلاً يدعون بعضهم «بني إسرائيل» أو «إسرائيليّين» (أنظر ٢ مك)، في حين أنّ التسمية كانت سابقاً تُستعمَل من قبل الغرباء للإشارة إلى الإسرائيليّين (رج E. Will-Cl. Orrieux, *Ioudaismos - Hellenismos*, 1986, p.33, n. 4)

٢ – نصادف كلمة «زرع» أو «نسل إبراهيم» (σπερμα Αβρααμ) هنا، وخمس مرّات في غل (١٦:٣ و١٩ و٢٩). ونجد عبارة «أبناء إبراهيم» (υιοι Αβρααμ) في غل ٧:٣. في كلتَي الحالتين، ينبغي الاستنتاج أن هناك ميراثاً مرتبطاً بالنسل وبالبنوة، وبالتالي ليس المقصود الرباط الدّمويّ وحسب، بل الإرث الحيوي الذي مصدره وعود الله لإبراهيم ولبنيه. الخيرات الأسكاتولوجية هي لهؤلاء، ولهم وحدهم. هكذا يُفسَّر العهد القديم. النقطة الحاسمة هي إذا الانتماء إلى عائلة إبراهيم، من خلال الختان وحفظ الشريعة. سيقاوم بولس هذا التفكير، حتّى ولو عبّر هنا عن افتخاره بهذا الانتماء.
يجب الملاحظة أنّه، في الأدب الحكمي وفي التقليد الربّيني، كلمة «ابن» هي لقب يعطى للتلميذ، ويعبّر أيضاً عن بنوة روحيّة.

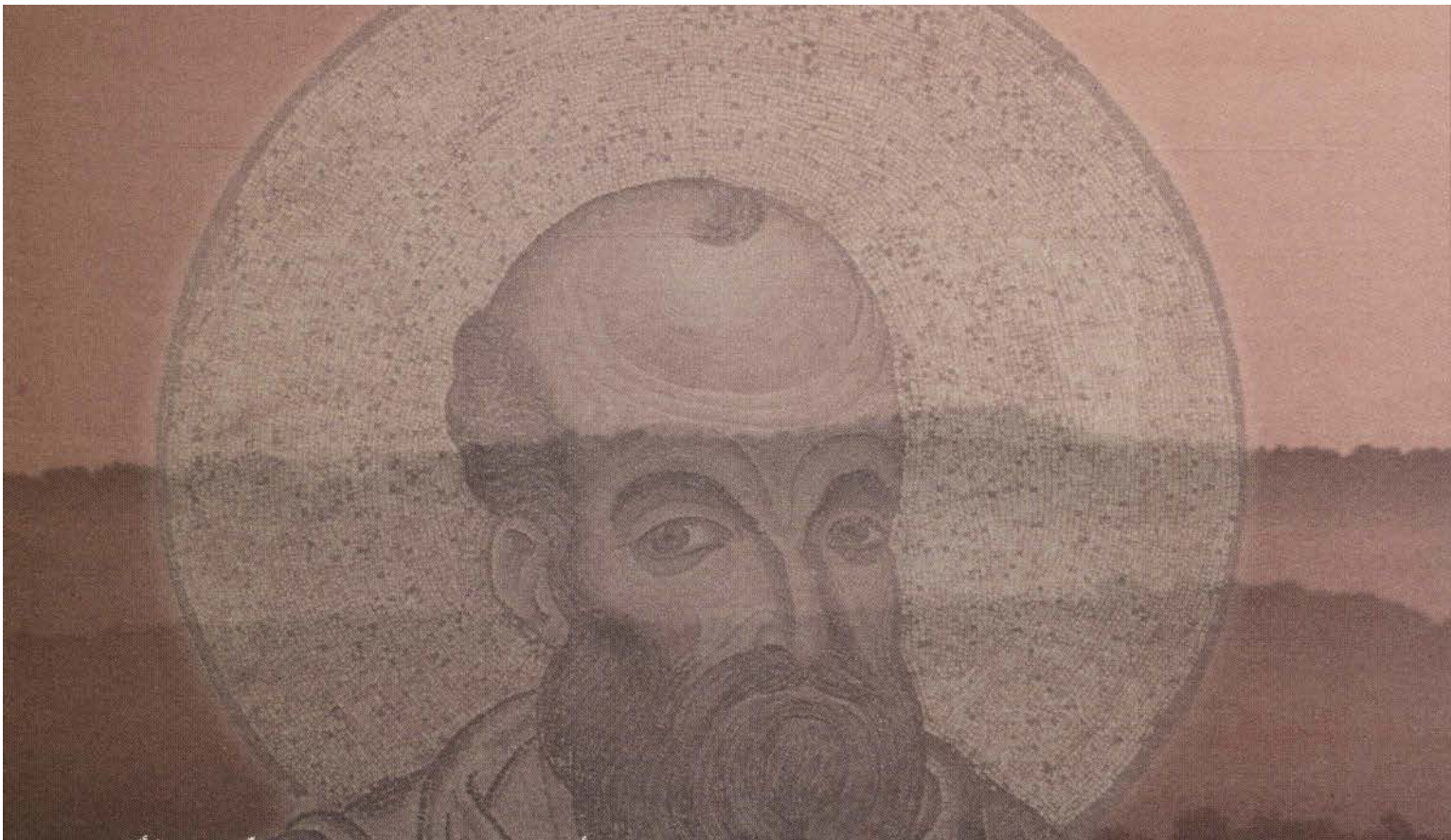

(رج روم ١١:١؛ ١ كو ٢٢:١١)، فخور بحفظ ذويه – وهو من بعدهم – للشريعة، كما نقرأ في فيل ٣:٤ب-٦ : «فأنا مختون في اليوم الثامن»؛ ويضيف : «إني من ذرية إسرائيل»، «من سبط بنيامين»، «عبراني ابن عبراني»، «فريسي». إنّ في ٢ كو ٢٢:١١، وإنْ في فيل ٥:٣، تدل الصفة «عبراني» على يهودي من فلسطين يتكلم اللغة المقدسة أو الآرامية[٣]، أو أيضاً على يهودي من الشتات على ارتباط بالوطن الأم. لا يستعمل بولس إذاً كلمات مترادفة، بل يتدرج من الأكثر اختصاصاً باتجاه ما هو أوسع.

– فرّيسيّ

أكثر من ذلك، يقول بولس بأنّه «فرّيسيّ» (فيل ٥:٣؛ أيضاً أع ٦:٢٣؛ ٥:٢٦)، مشيراً بذلك إلى المرحلة التي درس فيها عند قدميّ معلّم فرّيسيّ – شبه أكيد في أورشليم، كون الفرّيسيّين لم يكونوا منتشرين خارج حدود اليهوديّة (أنظر، مثلاً، أع ٣:٢٢). لم يكن الفرّيسيّون فريقاً غير متميّز في ذاك الزمان، لكنّ ميزة مشتركة تبدو أنّها كانت همّهم «للدقّة أو التحديد أو الضبط»[٤] (ακριβεια) في تفسير الشريعة والحفاظ عليها؛ في ما يتعلّق بهذا الأمر، يوسيفوس[٥] وأعمال الرسل (٣:٢٢؛ ٥:٢٦) متّفقان، والتأكيد الذي باستطاعتنا أن نستلّه من الأناجيل الإزائيّة يتوافق معهما (مر ٢:٢٣-٣:٥؛ ٧:١-١٣).

– غيور

هناك كلمة أخرى تصف بالتأكيد همّاً فرّيسيّاً مميّزاً (حتى ولو لم يكن مُطلقاً) وتكرّساً للحفاظ على الشريعة، ألا وهي «الغيرة»[٦]، التي نسبها بولس إلى ذاته قبل ارتداده (فيل ٦:٣؛ أيضاً أع ٣:٢٢)، كما أيضاً إلى بني قومه اليهود (أنظر ٢:١٠). في ما بين بني قومه الفريسيّين، يبدو بولس أنّه كان بنوع خاص «غيوراً على تقاليد الآباء» (غل ١٤:١)، وقد رأى، بالتأكيد، في اضطهاد الكنيسة الناشئة عملاً لا بدّ منه، انطلاقاً من هذه الغيرة بالذات (فيل ٦:٣).

– مُلِمٌّ بالكتب المقدسة

من دون شك، إنّ التدريب الفرّيسيّ لبولس هو مصدر امتلاكه القوي للكتاب المقدّس، ليس فقط التوراة، بل أيضاً الأنبياء والكتب،

٣– أنظر سي – مدخل ٢٢، حيث تُستَعمل كلمة Εβραιστι للدلالة على «اللغة العبريّة».

٤– رج M. Hengel, *Il Paolo precristiano* (Tübingen 1991; trad. ital.: Paideia, Brescia 1992) 111; 116, n. 10: ακριβεια significa "those who specify".

٥– Josephus, *War* 1.110; 2.162; *Ant.* 17.41; *Life* 191.

٦– منذ زمن المكابيين وحتّى العام ٧٠ ب.م.، كانت الغيرة على الشريعة ظاهرةً نموذجيّة في فلسطين. أنظر غل ١٤:١، حيث يوصف أعداء بولس في غلاطية بأنّهم «غيورون»، كانوا يحاولون إقناع المرتدين الجدد إلى المسيحيّة في مقاطعة غلاطية بالتزام حياة خاضعة لليهوديّة؛ يبدو أنّ هناك ارتباطاً مباشراً بين هؤلاء الأعداء وبين الغيورين، حسب ما يعتقد. أنظر:

R. Jewett, "The Agitators and the Galatian Congregation", *NTS* 17 (1970) 198-212.
M. Hengel, *Il Paolo precristiano* (Tübingen 1991; trad. ital. : Paideia, Brescia 1992) 113.
E. Lohse, *Le milieu du NT* (Paris: Cerf, 1973) 101.

وهذا ما يبان من استعماله كثيراً للنصوص البيبلية في رسالته. يُظهر بولس أيضاً معرفةً للكتب اليهوديّة التي كانت رائجة في الشتات، دون أن يكون لها وضعُ «كتاب» (خاصّة كتاب حكمة سليمان). إضافةً إلى ذلك، إنّ مصدر مهارة بولس كمفسّر هو، من دون شك، تَدَرُّبُهُ كفرّيسيّ، وهذا ما يتجلّى في مقاطع مثل روم ٤–٥.

إنّ النقطة الأساسيّة، من أجل فهمنا للرسالة، هي إذاً خلفيّته الفرّيسيّة واليهوديّة التي أصبحت وبقيت جزءاً كاملاً من شخصيّته. إنّ تحديد هوّيته كيهودي واهتمامه بميراث شعبه يؤمّنان ناحية من الحوار الذي يتواصل عبر كل الرسالة.

ب - ثقافته اليونانيّة

كان بولس ذا كفاءة عالية في اليونانيّة، حتى ولو لم يكن أسلوبه الأكثر أناقة، ويستعمل كِلا الأسلوبَين، النقدي (diatribe) المُستَعمل كثيراً في المدارس الفلسفيّة، كما أيضاً الأفكار الرواقيّة (أنظر مثلاً ١:٢٨). فتكون لديه هكذا بالتالي تربية يونانيّة هامّة حصل عليها في طرسوس، علماً أنّه ينبغي علينا أن نأخذ بعين الاعتبار شهادة يوسيفوس بأنّ يونانيّته المحكيّة لم تكن جيّدة، «كون شعبنا لا يُحبّذ أولئك الأشخاص الذين تمكّنوا من ألسن أمم عديدة، أو الذين يزيّنون أسلوبهم بالأقوال المأثورة... بل يَعتبِرون حكماءَ فقط أولئك الذين يمتلكون معرفة دقيقة للشريعة، والذين يستطيعون أن يفسّروا معنى الكتب المقدّسة»[٧].

لا ينبغي أن نستنتج أنّ هذين العنصرين المتعلّقين ببولس (أي عبراني ويوناني) كانا في صراع عميق؛ فلقد كان اليهود في الشتات غالباً ذوي اعتبار عالٍ في المدن التي كانوا قد استقرّوا فيها، كما كانت رغبتهم الشديدة في الحفاظ على هوّيتهم الإتنيّة محترمة (مع ترتيبات خاصّة كان يُسمح بها في ما يتعلّق بجمع ضريبة الهيكل ونقلها إلى أورشليم كلّ سنة). هكذا كان تقريباً ممكناً ليهوديٍّ في الشتات أن يكون مواطناً رومانيّاً (كما كان الحال بالنسبة إلى بولس، استناداً إلى أع ٢٢:٢٥)، دون الانقطاع عن الافتخار بقوميّته وبميراثه، كون المواطنيّة الرومانيّة مسألةَ تسهيل حياة أكثر منها تحديد هوّيّة. في كلّ الأحوال ينبغي أن يكون هذان العنصران (أي يهودي ذو لسان يوناني) حاضرَين نصب العينين لدى قراءة ما يعنيه بولس بكلمة دَين تُجاه «اليونان والبربر معاً»، وما يعنيه بالرسالة «نحو اليهود أوّلاً، وأيضاً نحو اليونانيّين» (١:١٤ و١٦).

٣ - العلاقة مع أورشليم[٨]

العنصر الثالث في قصّة بولس الشخصيّة، وهي ذات أهميّة بالنسبة إلى معالجة الرسالة، هو كون عمل بولس الرسولي قد أثار معارضة بني قومه اليهود، بمن فيهم، على الأقل، المرتدّين إلى المسيحيّة. أمّا متى ابتدأت هذه المعارضة والمنحى الذي أخذته، فليسا موضوعاً نحتاج إلى أن نعالجه هنا. يكفي أن نقول أنّه بإمكاننا أن نقسم عمل بولس الرسوليّ إلى مرحلتين، انطلاقاً من علاقته مع أورشليم ومع الكنيسة الأم هناك.

المرحلة الأولى كانت عندما نظر بولس – من المحتمل كمرسل لكنيسة أنطاكية – إلى أورشليم كسلطة أولى لعمله الرسوليّ الخاص. هذه المرحلة مطبوعة بدرجة من الخضوع يشير إليه بولس في غل ١–٢ (نتبيّنه خاصّة من خلال التعابير المستعملة في ١:١٦؛ ٢:٢ و٣ و٦ و١٠). ذروة هذه المرحلة كان مجمع أورشليم حيث نجح في كسب دعم «الرسل الأعمدة» في أورشليم لحَمْل الانجيل إلى الأمم، دون فرض الختانة على هذه الأخيرة (غل ٢:٣ و٦–٩). ولكن قد يبدو، فوراً بعد ذلك، أنّ هذه العلاقة الايجابيّة من العمل الرسولي قد اصطدمت بحادثة أنطاكية (غل ٢:١١–١٤). لم تكن المسألة هناك تتعلّق بالمسيحيّين الذين من أصل وثني، لأن يُختنوا، بل بالمسيحيّين الذين من أصل يهودي الذين كانوا يشاؤون أن يحتفظوا بهوّيتهم اليهوديّة من خلال مواصلتهم الحفاظ على الشرائع المفروضة على شعب العهد، خاصّة في ما يتعلّق بشرائع الأطعمة التي كانت علامة فارقة لليهود بمجملهم (رج ١٤:٢). بالنسبة إلى بطرس وبرنابا والمسيحيّين اليهود الآخَرين، كان الحفاظ على الهويّة اليهوديّة وعلى الايمان بالعهد مسألة مبدأ؛ هكذا، لم تكن «أعمال الشريعة» في تعارض مع الايمان بالمسيح (غل ٢:١٦؛ رج روم ٣:٢٠). أمّا بالنسبة إلى بولس، فإنّ مبدأ الايمان بالمسيح ينبغي أن يؤخذ بطريقة جذريّة عميقة، جاعلاً الممارسات اليهوديّة التمييزيّة نسبيّة وجانبيّة؛ ليس فقط الختانة، بل أمور أخرى، مثل «أعمال الشريعة»، كانت على تناقض مع الايمان بالمسيح، كونها تُضيف عمليّاً متطلّبات أخرى كجزء من مجمل المعطيات في قبول الأمم للانجيل.

لا حاجة لنا إلى الذهاب بعيداً في تفاصيل أخرى، بالرغم من أنّه من المهمّ لفت الانتباه إلى أهميّة فهم الرسالة إلى الغلاطيّين كما يجب، إذا كنا نبغي أن نفهم الرسالة إلى الرومانيّين أيضاً. يكفي أن نلاحظ أنّ بولس قد فقد موضوع الجدل في أنطاكية، وأنّه بالنتيجة كان عليه أن يفكّ ارتباطاته القديمة مع أنطاكية (وبرنابا) وأورشليم، ليصبح ذات

٧- Josephus, *Ant.* 20. 264.

٨- Gaston L., "Paul and Jerusalem", in *From Jesus to Paul,* Fs F. W. Beare, ed. P. Richardson and J. C. Hurd (Waterloo, Ontario: Wilfrid Laurier University, 1984) 61-72.

قدر كبير وأكثر استقلاليّة كمرسل، جاعلاً بالمقابل قاعدته في كورنتس وأفسس (أع ١٨:١١؛ ١٩:٨-١٠). إنّ التبديل في الموقف والعلاقة مع أورشليم خاصّة هو بارز بوضوح من خلال اللّغة ذات المسافة التي يستعملها تجاه أورشليم في الوقت الذي فيه كتب الرسالة إلى أهل غلاطية (خاصّة ٢:٦- «أولئك المعروف أنّهم أعمدة» - ما كانوه في الماضي هو الآن موضوع عدم اكتراث بالنسبة إليّ»...). في الواقع، إنّ العلاقة بين بولس والكنيسة الأم تبدو وكأنّها أصبحت متوتّرة. إنّ الجدال في مقاطع مثل غل ١:٦-٩؛ ٢:٢-١٢؛ ٢ كو ١١:٤؛ ١٢-١٥؛ وفيل ٣:٢، كان بالتأكيد ضدّ مبشّرين آخرين و«رسل المسيح»، الذين كانوا تقريباً وبدون شك مرسلين مسيحيّين من أصل يهودي من فلسطين، قلقين على أن يضمنوا أنّ المؤمنين الجدد بالمسيح يسوع قد سلكوا كامل الطريق ليصبحوا أعضاءً كاملين في شعب اللّه (عبر قبولهم الختانة وخضوعهم لأمور أخرى مثل «أعمال الشريعة»). هذه المقاطع الجدليّة هي من بين الكتابات الأشرس في النقاش ما بين المسيحيّين. من جهته يُشدّد بولس على أنّ الاتّفاق في غل ٢:٩ ينبغي أن يُحافظ عليه، وأنّه على كلّ رسول أن يلتزم بمهمّته وإطار عمله (٢ كو ١٠:١٣-١٦)؛ من هنا مقاومته الشرسة لتجاوز مجالات عمله. لكنّه كان أيضاً شديد الاهتمام ودون مهابة بالحفاظ على علاقة إيجابيّة مع أورشليم، أو على الأقلّ على علاقة إيجابيّة بين الكنائس التي كان قد أسّسها والكنيسة الأم في أورشليم. بالتالي كانت أولويّته الكبيرة الثانية في المرحلة السابقة لكتابته الرسالة إلى الرومانيّين أن يجمع المساعدات من الكنائس التي كان قد أسّسها وأن يحمل ذلك إلى أورشليم كعلامة تضامن لطيفة مع اليهود ببركات المسيح يسوع وبأمور ماديّة أيضاً (أنظر ١٥:٢٥).

٤ - الارتداد المدوّي

ابتدأت الناحية الثانية من الحوار مع ارتداد بولس، الذي من المحتمل أن يكون قد حصل في بداية الثلاثينات (أع ٩:٢٢-٢٦). أساسيّة هنا هي قناعة بولس أنّه، في لقائه مع المسيح القائم من الموت، قد صار معيّناً من اللّه لأن يحمل إنجيل ابنه إلى الأمم (١:١ و٥؛ غل ١:١٥-١٦). في الواقع، كما يُلاحَظُ في أغلب الأحيان، لا يتكلّم بولس إطلاقاً على لقائه مع المسيح كارتداد، لكن فقط كدعوة وإرسال. ليس واضحاً بالتمام متى تملّكته هذه القناعة، ولكن، بالتأكيد، أقلّه منذ مجمع أورشليم وما بعد، تمّ الاعتراف بشكل واسع برسالته نحو الأمم (غل ٢:٩)، كما أنّه هو نفسه لم يكن لديه تردّد بأن يدعو نفسه «رسول الأمم» (١١:١٣). نقطة الاهتمام هي أنّ بعثته الرسوليّة أصبحت بوضوح العنصر الأهمّ الذي هيمن على مُجمل نشاطه الانجيلي خلال العشرة إلى الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته. إنّ طبيعة الاستحواذ الكلّي لهذا الدافع الانجيلي واضح بما فيه الكفاية انطلاقاً من مقاطع مثل روم ١٥:١٧-٢٠؛ ١ كو ٩:١٦ و١٩-٢٧، ومن المحتمل أنّه كان عنصراً حاسماً في تكوين الرسالة وشكلها. يمكن وصف المسألة كما يلي: من وجهة نظره الخاصّة، كان بولس أوّلاً إنجيليّاً ومرسلاً، وفقط لاحقاً لاهوتيّاً. ومن أجل دقّة أكبر، لم يكن لاهوته مستقلاً عن ذلك، بل بالأحرى خادماً «لرغبته الشديدة» - أن يبشّر الأمَمَ بالمسيح (١:١٣-١٥؛ غل ١:١٦).

بالطبع، منشأ الحوار هو كون هذا الرسول إلى الأمم هو حصراً بولس «العبراني ابن العبرانيين» و«الفرّيسي الغيور» - المرتدّ الآن، ولكنّه الذي ما زال يعيش العديد من اهتماماته السابقة. إنّ الايحاء بأنّ بولس، في ارتداده، قد تخلّى كليّاً عن كلّ ما كان يشكّل هويّته السابقة، وعمل وثبة إلى نموذج ديني مختلف تماماً هو غير ضروريّ وغير معلّل.

ليس جدال بولس مع نظام غريب، بل مع ذاته هو، ومع ماضيه الخاص: إنّ لحمة إيمانه بالمسيح تتداخل مع ما هو مخفيّ من يهوديّته. هكذا فقط نستطيع أن نفهم كرب بولس في مقاطع مثل روم ٧:٢١-٢٤؛ ٩:١-٣؛ ١٠:١؛ ١١:١-٢. «بقبول بولس يسوعَ اليهودي على أنّه المسيح، لم يفكّر بتعابير يعني بها الانتقال إلى ديانة جديدة، بل على أنّه وجد المفهوم والتعبير النهائيّين للتقليد اليهودي الذي وُلد فيه هو شخصيّاً. من المحتمل أنّه لم يفكّر أنّه انقطع عن أن يكون يهوديّاً (روم ٩:٣-١١:١)، أو أنّه دشّن ديانة جديدة»[٩].

٥ - خلفيات فاعلة!

إنّ إعطاء هذه الخلفيّة قيمتها هو جوهري لفهم رسالة بولس إلى أهل روما. تأتي هذه الرسالة في ما ينظر بولس إليه أنّه نهاية مرحلة رئيسيّة من عمله (١٥:١٩ و٢٣)، مرحلة مطبوعة ومشوّهة إلى حدّ كبير بتلك العداوة بَيْنَهُ وبين لفيف كبير من المسيحيّين اليهود الذين أصلهم من أورشليم. قد تكون الرحلة إلى أورشليم بالنسبة إلى بولس من أجل تسليم المساعدات ثمرة وختم نجاحه معاً بكسبه هذا العدد الوفير من الأمم إلى الإيمان، لا بل أيضاً بحفاظه على وحدة مجمل الحركة المسيحيّة. إنّ آمال بولس ومخاوفه حول هذا الموضوع هي موصوفة بوضوح في عبارات روم ١٥: أن تكون خدمته بكسبه هذا العدد الوفير من الأمم مقبولةً لدى اللّه (١٥:١٦)، وأنّ دليل العضويّة أن يكون مقبولاً لدى قدّيسي أورشليم (١٥:٣١)؛ ولكن، بالتأكيد، هو متخوّف أكثر في ما يتعلّق بهؤلاء أكثر منه بأولئك. بهذا الروح الذي يمتزج فيه الرجاء والخوف، يكتب بولس رسالته إلى أهل روما.

٩- W. D. Davies, "Paul and the People of Israel", *NTS 24* (1977-78) 20.

من إيمان ابراهيم إلى إيمان يسوع
روم ١ في تفسير مار افرام

الخوري بولس الفغالي

القدّيس افرام السرياني
(كنيسة مزرعة كفرذبيان – لبنان)

وُلد في عائلة مسيحيّة، في نصيبين (صوبة الحالية في تركيا)، حوالي سنة ٣٠٦، وتوفي في الرها (أورفا، تركيا) سنة ٢٧٢. ظلّ افرام شمّاساً في الكنيسة، ولم يرتسم كاهناً. اهتمّ بالوعظ، كما اهتمّ بممارسة المحبّة، ومات وهو يرافق المصابين بالوباء في الرها.

ترك افرام الأناشيد الكثيرة حول الميلاد والايمان والفصح والصلب والقيامة... ولكن يهمّنا أنّه فسّر الكتاب المقدّس بعهديه، فبقيت لنا تفاسير التكوين والخروج... والانجيل الرباعي أو الديا تسارون، وأخيراً فسّر رسائل القدّيس بولس.

ضاعت بعض تفاسير افرام في السريانيّة، ولكنّنا نجدها في الأرمنيّة، في مخطوطات تعود إلى القرن الخامس والسادس. وقد طبعها الآباء المخيتاريون في أربعة أجزاء في البندقيّة (إيطاليا)، سنة ١٨٢٦. أمّا تفسير الرسائل فنقله الأب أوخر الى اللاّتينيّة، وطبعه في البندقيّة أيضاً سنة ١٨٩٣. ونحن ننطلق من هذه الترجمة لنقدم تفسير الفصل الأوّل من الرسالة إلى روما.

قال «بولس المدعوّ» (١ : ١)، أي الذي دُعِي في طريق دمشق بوحي من يسوع المسيح الذي أرسله ليحمل إنجيله. لم يقل دُعِيتُ ساعة اختُرت قبل أن يكوّن العالم من أجل البشارة بإنجيل اللّه. واحد هو إنجيل روما، وواحد هو المبشّر الذي ثبّتته بشكل رئيسي كتب الأنبياء المقدّسة. الابن الذي في نهاية الأزمنة ظهر بينهم لابساً الجسد، من نسل داود. فابن اللّه هذا قد رؤي، فكيف رؤيَ؟ بقوّة الروح وقداسته، أي بملكاته وعطاياه التي حلّت في رسله مع الروح القدس. قال : ذاك الذي قام من بين الأموات (آ ٤)، ما أعاده أحد إلى الحياة. كان ميتاً فصار حيّاً. اعتبر ميتاً في الجسد الذي أخذه، وهو حيّ بسبب الألوهة. لهذا قيل : ثبت أنّه ابن اللّه. لم يقل : أعيد إلى الحياة لئلاّ تتضارب أقواله، بل أعاد ذاته من الموت ليكون هو هو الذي يعلن القول ويثبته.

الذي به نلنا النعمة (آ ٥) بغسل المعموديّة الرسوليّة التي قبلناها مع عطايا الروح القدس لكي نعلن باسمه، لا أعمال الشرّ والنجاسة والحياة البغيضة التي ذكرناها. أمّا أنتم أيّها الرومانيّون، فكنتم منهم، وقد دُعيتم، فلم تحرموا من النعمة التي أرسلتنا إليكم.

جميع الذين بروما، المدعوّون القدّيسون (آ ٧)، أي الموعوظون والمعمّدون الذين اغتسلوا. قال : عمّد القدّيسون من أجل تكفير تعطيه المعموديّة. غُسلوا فتقدّسوا. السلام لكم، والنعمة من اللّه أبينا الذي دعاكم وقرّبكم من التبنّي ومن ربّنا يسوع المسيح. لم يقل بواسطة ربّنا يسوع المسيح. أشكر اللّه بيسوع المسيح (آ ٨). كان قد قال من قبل: «من الربّ»، ليدلّ على اللاّهوت، وها هو الآن يتكلّم بواسطة الربّ ليدلّ على الناسوت. إيمانكم عظيم كمدينتكم، وهو يذاع في العالم كلّه».

يشهد لي اللّه الذي أخدمه بروحي (آ ٩)، أي بحياتي الروحيّة، لا حسب نواميس الذبائح. إنجيل ابنه، لا حسب كتب موسى. أذكركم في كلّ حين في صلواتي. أنا أطلب بأن يُتاح لي أن أراكم بعد وقت قصير، لا وقت طويل، لكي أشارككم في نعمة روحيّة كما شاركت إخوتكم في غلاطية وكورنتس، كي أثبتكم لكي تصمدوا في وقت التجربة، وفي الوقت عينه كي يعزّي بعضكم بعضاً، ونصلّي معاً في الايمان المشترك.

لا أريد أن تجهلوا أيّها الإخوة أنّي رغبت مراراً في أن آتي إليكم (آ ١٢). فيكم وجدت أيضاً الثمار التي أقدّمها للعزّة الالهيّة التي أنا تلميذها، كما وجدت أيضاً عند سائر الأمم، لدى الحكماء والجهّال، أي لدى الذين قبلوا أن يطيعونا، والآخرين الذين رفضوا. فسواء طاعوا أم لا، فعملي هو البشارة. وأنا معجّل، أيّها الرومانيّون الطائعون، لأن أبشّركم بالانجيل الذي كان بعيداً عنهم : هذا واضح، كما قال، إمّا لأنّ تلك المدينة تعبّدت للأصنام، وإمّا لأنّها غابت عن جميع النفوس التي جاءت إليها.

فأنا لا أستحي بإنجيلي (آ ١٦)، بسبب الصليب الذي يُكرز به هنا. فهو قوّة اللّه التي فعلت بحيث إنّ الأمم العصاة عادوا إلى الخضوع، والعبرانيّين والأمم الذين آمنوا به نالوا خلاصاً أكيداً. فبرّ اللّه أي حياة الأقدمين فيه، أعلن من إيمان إلى إيمان (آ ١٧). من إيمان ابراهيم إلى إيمان يسوع الذي تدلّ عليه الكتب، فتقول : «البار بالإيمان يحيا».

أعلن غضب اللّه من السماء (آ ١٨)، في انتقام الشريعة الطبيعيّة على الذين يتمادون في الشرّ. فمع أنّهم عرفوا الحق فقد عبدوا الكفر. عُرف لديهم علم الله، بعد أن كشف الله عن نفسه بواسطة الخلائق. فما لا يرى من مبدأ الكون. قال هذا، إمّا بسبب طبيعة الخلائق التي صوّرها موسى، وإمّا بسبب الابن الذي كان خفياً، وقد كشف عن ذاته الآن. لقد تجلّى الحق الآن بواسطة المعجزات، كما تجلّى في البدء بواسطة المخلوقات. فلا عذر للذين ابتعدوا عنه.

عرفوا اللّه من الخلائق، ولكنّهم لم يمجّدوا الله (آ ٢١)، خالق كلّ طبيعة، ولم يشكروه، بل زاغوا في عقولهم عن حقيقة مجده. بما أنّهم لم يمجّدوه في جميع معجزاته، بعد أن وجب عليهم أن يمجّدوه بسبب معجزاته، صاروا ظلاماً بسبب جهل القلب ونور العلم، لهذا صاروا جهلة. ظنّوا أنّهم حكماء، فإذا هم حمقى (آ ٢٢). ابتعدوا عن اللّه ومجّدوا صورة الإنسان والطيور والزحافات والدواب.

بما أنهم ابتعدوا عن الله الذي يحبّ القداسة والعفّة، وأحبّوا الصور...، أسلمهم اللّه، لا إلى الغنى الذي أبغضه، بل أسلموا إلى النجاسة في شهوة قلوبهم، وأهانوا أجسادهم في داخلهم، وحوّلوا حقّ اللّه إلى باطل، وفضلوا عبادة الخلائق على عبادة الخالق...

الطاعة للّه والإيمان به (روم ١:٥)

أ. جورج خوّام البولسي

من خير ما نقدّم له في هذا المقام أن نفصل في معاني العنوان بين «الطاعة» الواجبة للّه و«إطاعته»، وأن نميّز تمييزًا في مدلول الإيمان به لما يشتمل عليه اللفظ من أفكار. فالطاعة للّه، أوّلاً، تدلّ على حالة الإنسان بمجمله، بفكره وفعله وقوله وحضوره، وقد استكان إلى العيش بمقتضى رسوم اللّه؛ أمّا إطاعة اللّه فتبرز ناحية يلزم الإنسان فيها جانب الرسوم الإلهيّة، مذلّلاً عقبات سعيه ومسلّمًا وجهه للّه إسلامًا. وينطوي الإيمان، من ناحية ثانية، على فحوى المعتقد في منحًى أوّل، وعلى منزلة المثل الدينيّة لدى امرئ في منحًى ثانٍ، وعلى التدابير التي رتّبها الإله لأجل منفعة الإنسان، في منحًى ثالث. فهذه الجوانب كلّها زوايا يرتفع الإيمان على قاعدتها جميعًا.

١ – كيف نفهم «طاعة الإيمان»؟

ترد عبارة «طاعة الإيمان» (هكذا) في روم ١:٥ (وفي ١٦:٢٦ أيضًا)، حسب الصياغة اليونانيّة؛ وفي ورودها معضلة بالنسبة إلى من يبتغي قراءة تمحّص في كلمة اللّه. فمن حيث الصياغة تتألّف العبارة من مضاف (طاعة) ومضاف إليه (الإيمان). ولما كانت اللفظتان لا تفصحان بدقّة عن المعنى المروم في علاقة إحداهما بالأُخرى، لأجل التجرّد الذي تحتويان عليه، فإنّ في نقلهما بغير الشكل الذي صِيغَتَا به لمعضلة. أجل، إنّ نقلهما حينئذٍ إلى لغة أُخرى يخرج بهما من المعنى الوحيد الذي قصد كاتب النصّ إليه بفكره نحو أحد المعاني الممكنة والعديدة. ودليلنا إلى ذلك ما نجده في الترجمات العديدة من اختلاف في نقل العبارة.

لنقصرنّ بحثنا على أكثر الترجمات العربيّة شيوعًا، متقصّين معنى العبارة في كلّ واحدةٍ منها: فالترجمة المعروفة باليسوعيّة القديمة أقرب الترجمات نقلاً إلى النصّ اليونانيّ. ولكنّ هذه الأمانة الحريصة قد تخلّت عن أداء المعنى بوضوح، وسلّمت أمره إلى قارئ يتردّد بين الصياغة الحائرة والدقّة الصائبة: «... به نلنا النعمة والرسالة لطاعة الإيمان في جميع الأمم لأجل اسمه». وما المحاولة البيّنة التي قامت بها الترجمة الحديثة سوى دليل على جهد التفسير الذي أجهد المترجمون به أنفسهم، عند بلوغهم حدّ العبارة في نقلهم النصّ. فقد نزعوا عنه غموضه وأوردوه معنى ثابتًا بقصد الوضوح، رغم قسوتهم على التعبير: «... به نلنا النعمة بأن نكون رسولاً، فنهدي إلى طاعة الإيمان جميع الأمم الوثنيّة، إكرامًا لاسمه». إنّ مثل هذه الترجمة تفيد معنى في الرسالة وكأنّها المجيء بالأمم الوثنيّة قسرًا إلى «طاعة الإيمان». وما يؤخذ حقًا على هذه الطريقة في النقل جعل «الأمم الوثنيّة» في حال المفعول به، من الوجهة النحويّة؛ وهو أمر لا تفيده الجملة اليونانيّة في صياغتها، بل يناقضه تمام التناقض ما نقرأه عن إسلام الأمم الوثنيّة قلبها صاغرة للّه، في ٦:١٧: «... أطعتم من قلبكم رسم التعليم الذي سلّم إليكم». وقد أفلتت الترجمة البولسيّة من حبائل شراك كهذا، عندما أعطت لفظة «الأمم» موقع الفاعل في الجملة: «... به نلنا النعمة والرسالة ليطيع للإيمان، لأجل مجد اسمه، جميع الأمم»، مجنّبة الرسالة وجه الاضطرار إلى «طاعة الإيمان»؛ إلاّ أنّ هذه الطريقة في الترجمة قد اقتنصت من لفظ «الطاعة» بريق مؤدّاه، إذ أشاحت بنظرها عن الحالة التي تبلغ إليها نفس الذي غشي الإيمان قلبه، وجعلتها

في مرتبة دون مرتبة أحد الأفعال الحميدة. وفي هذا الفخّ عينه عثرت ترجمة الكسليك، إذ وقفت على لفظ «الطاعة» فعلاً كسائر الأفعال البشريّة؛ بل تهاوت في عثرها أيضًا إذ اختارت لها فعلاً غير مشتقّ من «الطاعة»: «... به نلنا نعمة ورسالة تخضع للإيمان جميع الأمم، من أجل اسمه»، منتحية أيضًا، علاوةً على ذلك، منحى الترجمة اليسوعيّة الحديثة، في جعلها خطأ لفظ «الأمم» في حال المفعول به. أمّا ترجمة جمعيّة الكتّاب المقدّس، المعروفة بالمسكونيّة، فلم تُصب توفيقًا في نقلها الآية مبتعدةً ابتعادًا عن فحوى هذه الأخيرة: «... به نلت النعمة لأكون رسولاً من أجل اسمه، فأدعو جميع الأمم إلى الإيمان والطاعة».

تدلّ هذه الجولة السريعة على الترجمات العربيّة، فيما تدلّ عليه من أمور، على تعدّد المعاني الممكنة التي تدّخرها عبارة «طاعة الإيمان». فمن حرص شديد على النصّ، على نحو ما سلكت فيه الترجمة اليسوعيّة القديمة، إلى الإفلات الثائر من كلّ قيد، كما بدا الأمر في حال الترجمة المسكونيّة، طريقة، بل ربّما طرائق، متنوّعة في ارتياد المعنى الدقيق لهذه العبارة. وقد تلمّسنا في تفحّصنا مواطن الفكرة في هذه الأخيرة ميدانًا يجدي نفعًا في إثبات هذا المعنى المنشود، ألا وهو التمييز بين الطاعة كحالة ترتادها النفس المؤمنة لتستقرّ فيها، والإطاعة من حيث هي فعل يأتي به المؤمن طوعًا، لا كرهًا. ولكن، دعونا نذهب شأوًا أبعد في تقصّينا عن معنى العبارة، فندرس مثلاً طاقة العبارة من حيث العلاقة اللفظيّة الداخليّة.

٢- اختيار المعنى الملائم

تنطوي عبارة «طاعة الإيمان»، بالواقع، على معاني عديدة نتيجة لعلاقة الإضافة بين لفظتيها. فعلى مستوى أوّل، يمكن اعتبار الإيمان مفعولاً به؛ حينئذٍ، يجب المجيء بلفظ «الأمم» إلى وسط العبارة فاعلاً، من حيث المعنى، على النحو: «طاعة الأمم الإيمان»، أي إطاعتها للإيمان. فيفترض هذا الاعتبار، آنئذٍ، تفسيرًا ذا وجهين: وجه ثابت يعمل كقاعدة، وآخر متحوّل، في داخل العبارة. أمّا الوجه الثابت فالطاعة، تبلغ الأمم إليها شيئًا فشيئًا، وتقيم فيها كفي حرز، وتشرع تحيا منه حياتها الجديدة. إذّاك، يمسي الإيمان هدفًا ترمقه الأمم من موقع طاعتها حيث تقيم، ويرتدي معنى الكشف الإلهيّ تارةً، أو أثره المعجز في أبناء الخليقة تارةً أُخرى، أو وفاء اللّه لمواعيده. وهناك مستوًى ثانٍ، يمكن فيه أن يمسي الإيمان فاعلاً والطاعة مفعولاً به، بعكس النظرة الأولى. حينئذٍ، يغدو الإيمان قاعدة ثابتة والطاعة عنصر التحوّل. إنّها تدلّ، في هذه الحال، إمّا على نتاج الإيمان من حيث هو قوّة تنشئ معقلاً منيعًا، يمكن النفس أن تلوذ به، وإمّا على ملتمس يشترطه الإيمان قبل أن يستحكم في النفس. وثمّة، أخيرًا، مستوى ثالث يجعل من الإيمان بدلاً عن الطاعة، وكأني باللفظتين تدلاّن بالحقيقة على مفهوم واحد، هو الإيمان من جهة الوثوق بالبشارة وتسليم الذات لما تنصّ عليه، ويدعى الطاعة من حيث الاستكانة فعلاً ومسلكًا لفرائضها.

ما لا ينتابنا فيه الريب أنّ لكلّ مستوى من هذه المستويات التفسيريّة شأنًا على جانب كبير من الاعتبار لدى أولي المعرفة. فالأوّل منها، مثلاً، يولي وضع الرومانيّين قدره وينصف الواقع التاريخيّ: فقد جاء هؤلاء منزلة مثلى في تمسّكهم بالدعوة الجديدة، وأفضوا إلى حال من الطاعة حقًا بعد إذ استكانت نفوسهم فيهم؛ لذا يمدحهم الرسول دون محاباة ويفخر بإيمانهم إذ «يشاد به في العالَم كلّه» (١:٨). ولا يزال يحرص على إفادتهم، فيدعوهم إلى أن يثابروا على عهدهم الذي عاهدوا به أنفسهم، ويحضّهم على أن يوغلوا في معرفة الإيمان الذي آمنوا به دون أن يدركوا بعد عمقه. لا شكّ، إذًا، بصواب الرؤية حسب هذه النظرة حيث الإيمان موضوع الكدّ الذي تسعى الأمم فيه. إلاّ أنّها لا تولي جانب الواقع الموضوعيّ حقّه: فلا طاعة حقًا، ولا إسلام تامًا للذات، دون إيمان راسخ ونيّر. ذلك بأنّ بلوغ حالة الاستكانة للّه يحاذي في نموّه ونضوجه نموًّا حقًا في الإيمان ونضوجًا فيه. فالجانبان متلازمان كما تلازم الرُّوح الجسد. وعليه، فلا حاجة لأن يأخذ التفسير، أو النقل إلى لغة أُخرى، بتوجّه من مثل هذا القبيل.

ومأثرة المستوى الثاني من مستويات التفسير الذي يلمّ بالعبارة أنّها تجعل الإيمان مصدرًا تنجم الطاعة عنه. وهذا معناه حقّ الإيمان دون منازع إزاء طاعة النفس؛ فهي طاعة مرتبطة بالإيمان ارتباطًا وثيقًا، وتولد منه. ومثل هذه الرؤية الخاصّة بالعبارة يتلاءم مع فحوى الرسالة، حيث يبرز الإيمان في قائمة الحجاج الذي يدافع بولس عنه، ويتبوّأ ذروة النقاش الذي يسوقه، ويؤلّف مفصلاً في الاعتبار الذي يسند إليه الرسول برهانه عن البرّ. بيد أنّ وهن هذه النظرة التي ترى في الإيمان فاعلاً معنويًّا وفي الطاعة مفعولاً به، تخفق في ما

تصبو إليه من تفسير. فالطاعة التي يقتضيها الإيمان، والتي تصدر كمن خدره إلى حيّز حياة الرومانيّين، تبدو كأنّها ليست واجبة إلاّ عليهم، لأجل كونهم أممًا، أي وثنيّين. وبولس الذي نال النعمة بيسوع المسيح، والرسالة، قد فوّضه اللّه لكي يعلي اسمه تمجيدًا بين الأمم بقيادتهم إلى الطاعة عبر الإيمان.

أمّا المستوى الثالث المشار إليه أعلاه فله فضل بأنّه يجعل الطاعة صورة عن الإيمان، يستدلّ بها إلى مكوث هذا في النفس، وثباته فيها. كما يحافظ هذا المستوى على وحدة الرباط بين الطاعة والإيمان دون أن يخلط بينهما. ويلائم مثل هذا التفسير منحى الرسول بولس في جوانب عدّة من الرسالة، حيث يعمد إلى الحديث عن الطاعة كأنّما يريد بها الإيمان (١:٨ // ١٦:١٩؛ ١٠:١٦ // ١١:٣٠،٢٣، إلخ). لا شكّ أنّ هذا التفسير ذو رؤية محكمة إلى نصّ الآية، واعتبار قائم لفحوى الرسالة. إلاّ أنّه ليس في وسعه أن يستقيم استقامة، في نظر الفقيه، لأجل قرب منطقه من جوّ المستوى السابق. فالطاعة، مهما حاذت الإيمان في نموّها، تبقى متأخّرة عنه في حصولها بالنفس. لذا، فلا يمكن إلاّ أن تتولّد عنه.

من الثابت أنّ الاختيار صعب؛ لكنّه ممكن بحسب ظنّنا، بناءً على ما تقدّم. ويجب علينا أن نبنيه على أساس ما جاء في المستويين الأخيرَين من رؤى تفسيريّة. وأهمّ العناصر التي تفيدنا في صنعه المحافظة على تقدّم الإيمان على الطاعة، واعتبار هذه نتيجة ناطقة له، بدون إقصاء ولا امتزاج. لكنّ المعنى لا يبلغ كامل مؤدّاه، بحسب رأينا، إلاّ إذا أضيف عنصر إليه. هذه الإضافة هي الجديد الذي تسهم دراستنا في حمله إلى البحث المطروق هنا.

٣- «طاعة الإيمان» مبدأ المبادئ

نبدأ فنقول إنّ بولس قد خبر ما يؤكّده، واعتنق ما يطرحه على الرومانيّين، فلم يأتِ به من مواطن الفكر الخالص؛ وحجّتنا في قولنا هذا دعوته مرارًا إلى اقتداء من يراسلهم به. إنّ ما يلقيه على مسامع مراسليه قد وعظ به نفسه أوّلاً، وتمسّك برسومه فعلاً حياته كلّها. لذلك، لا يمكن أن نحجب ما ينادي به عنه. من ناحية أُخرى، يشدّد بولس في مطلع الآية ١:٥ على نيله «النعمة والرسالة» معًا للمناداة باسم الربّ يسوع. وغنيّ عن البيان أنّ النعمة سابقة بالنسبة إلى الرسالة في حياة المؤمن بولس، كما الإيمان أسبق إلى النفس من طاعتها. وما نقوله في هذا الخصوص يطابق اقتناع بولس في قرارة نفسه، ما دام ينظر إلى الإيمان كإلى نعمة (١٧:٥). فإذا كان الإيمان يناسب النعمة في الآية ١:٥، فالطاعة تناسب إذًا الرسالة. وكما نال بولس النعمة والرسالة بما لربّنا يسوع من فضل، والنعمة تسبق الرسالة، وجب علينا أن ننظر إلى علاقة الطاعة والإيمان النظرة ذاتها مقيمين الاعتبار لتقدّم الإيمان على الطاعة عند المؤمن. ومن وجهة النظر هذه، تبدو طاعة النفس جوابًا عن الإيمان. فإن كان هذا يدلّ على فحوى ما يعتنقه المرء، تنصّ الطاعة حينئذٍ على تجلّي ذلك في حياته. وإلاّ فالإيمان لَم يُصب الكيان، ولا هو استقرّ في تربة الحياة.

تتحدّد علاقة الطاعة، وقتئذٍ، بالنسبة إلى الإيمان كماء سلسبيل ينحدر من النبع. فإذا اشتدّ مصدر الماء فاضت هذه في مجراها وروت كلّ متّسع من حولها. هكذا الإيمان، كلّما تقوّى في النفس بدت هذه مطواعًا وعذبة، كأنّ شوائبها قد زالت، وأنفة عنفوانها قد استكانت. وإن دعا بولس إلى «طاعة الإيمان» في ١:٥، إنّما أشار أوّلاً إلى ما يتعلّق به إذ نال «النعمة والرسالة»، قبل أن يلتفت بعبارته إلى ما يتعلّق حقًّا بالأمم الوثنيّة. لذلك، لا يجوز أن نقف الطاعة للإيمان على هؤلاء فقط، دون بولس، في عمليّة الترجمة. وهذا الجانب ذو أهمّية: فإنّ بولس يبغي بعبارته «طاعة الإيمان» الواجب الملقى على عاتقه من جرى نعمة الإيمان الذي ألزم نفسه به، بحيث إنّ رسالته في ما بين الأمم الوثنيّة تنبع فيه من معين إيمانه، لا من محض عزمٍ بشريّ أو قصد إيديولوجيّ. وبالتالي، تتّخذ عبارة «طاعة الإيمان» شكل مبدأ على لسان بولس، يعمل الرسول وفق إيحاءاته. إنّه لا يقوى على مخالفته، ولا مناقضته، ولا التنكّر له. وقد نال «النعمة والرسالة» لكي تتجلّى فيه القدرة على مزاولته وملازمته.

ليس في وسع أحد أن يخضع للّه دون أن يمتلك إيمانًا راسخًا، يتجلّى في التعلّق برسوم اللّه ويسلّم العقل والقلب له. وليس في وسع أحد أن يدّعي الإيمان لنفسه، لأنّ الإيمان نعمة، وليس هو نجاحًا يصيبه أحد الناس بسعيه. نعمة تُنال، وتنساب رقراقة إلى داخل الإنسان، في سكينة ووداعة، لا في عنوة ومنازعة وخصومة. وإذ إنّ الكلّ من اللّه، فكيف تكون حال من يعاند اللّه بعدم طاعته له؟ إنّ من يخرج على طاعة اللّه فهو خارج على الإيمان به، وليس فيه سوى نفاق ورياء.

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2080.

«ليس أبناء الجسد هم أبناء اللّه، بل هم محسوبون كأنّهم نسل أبناء الوعد»

التبرير عربون الخلاص
روم ٥: ١-١١

جهاد الأشقر
بيت الرسالة

النص

١ فلمّا برّرنا اللّه بالإيمان نَعِمنا بسلامٍ
معه بربّنا يسوع المسيح،
٢ وبه دخَلنا بالإيمان إلى هذه النعمة
التي نُقيمُ فيها ونفتخر على رجاء
المشاركة في مجد اللّه،
٣ بل نحن نفتخِرُ بها في الشدائد.
لعِلمنا أنّ الشدّة تلدُ الصبر،
٤ والصبر امتحانٌ لنا، والامتحان يلد
الرجاء،
٥ ورجاؤنا لا يخيب، لأنّ اللّه سكبَ
محبّتهُ في قلوبنا بالروُح القدس الذي
وهبه لنا.
٦ ولمّا كنّا ضعفاء، مات المسيح من
أجل الخاطئين في الوقت الذي
حدّده اللّه.
٧ فلّما يموت أحدٌ من أجل إنسان بار،
أمّا من أجل إنسان صالح فربّما جروء
أحد أن يموت.
٨ ولكنّ اللّه برهن عن محبّته لنا بأنّ
المسيح مات من أجلنا ونحن بعد
خاطئون.
٩ فكم بالأولى الآن بعدما تبرّرنا بدمه
أن نخلُصَ به من غضب اللّه.
١٠ وإذا كان اللّه صالحنا بموت ابنه
ونحن أعداؤهُ، فكم بالأولى أن
نَخلُصَ بحياتِه ونحن متصالحون!
١١ بل نحن أيضًا نفتخر باللّه، والفضلُ
لربّنا يسوع الميسح الذي به نلنا
الآن هذه المصالحة.

مقدّمة

هذا الفصل الخامس من الرسالة إلى أهل روما يعرض بإيجاز ووضوح معالِم خبرة الخلاص التي اختبرها الرسول بولس أوّلاً في حياته الخاصّة، وتاليًا في حياة الجماعات التي أسّسها. وهو بالفعل مفصلٌ في التعبير عن خبرة الخلاص، إن في لاهوته والعقيدة، أو في قراءته للزمن، أو في تحليله للوضع البشريّ في ضعفه ومبادرة اللّه المجانيّة في خلاصه وتبريره.

نقرأ من خلال دراسة بيان هذا المقطع (روم ٥: ١-١١) ثلاثة محاور تشكّل العمود الفقريّ لفعل الإيمان الذي يعترف به الرسول. **الأوّل** هو كلُّ ما يعرضه عن وجه اللّه وفعله في المسيح، **والثاني** هو قراءته للزمن قبل فعل اللّه وبعده، **والثالث** هو جواب الإنسان أو بتعبير آخر نتيجة الخلاص الذي يقدّمه اللّه.

المحور الأوّل: وجه اللّه وفعله

اللّه هو المُبادر، هو البادئ بالحبّ، وهو الآتي ليصالح مَن أحزن روحه.

«فخدعوه بأفواههم وكذَبوا عليه بألسنتهم. أمّا قلوبهُم فلم تكن معهُ ولا آمنوا بعهده.

وهو رحيمٌ، يغفرُ الإثمَ ولا يُهلك، وكثيرًا ما يردُّ ولا يثيرُ كلّ سخطه، ويذكر أنّهم بشر، نَفَسٌ يذهب ولا يعود.

كم مرّة تمرّدوا في البريّة عليه، وفي القفار أغضبوهُ، وعادوا فجرّبوا اللّه، وأحزنوا قدّوس إسرائيل. لَم يذكُروا يده يوم افتداهم من المُضايق» (مز ٣٦: ٣٨-٤٢).

نحن أحزنّاهُ وهو يأتي ليصالِحَنا ويبرّرنا، ويُنعِم علينا بالخلاص هبةً مجّانيّة، ويُدخِلنا بالإيمان إلى النعمة والمشاركة في مجده. يقبل بموت ابنه هو الذي ما قَبِل بموت إبراهيم (تك

٢٢:١٢)، ليفتحَ قلوبَنا ويسكبَ فيها محبّته. موت ابنهِ هو إذًا على صورة المفتاح، والمفتاح هو في صورة الصليب. فعلُ اللّه يُعطينا أن نرى وجههُ، هو فعل الخَلق، إذ كنّا أمواتًا أرسل ابنه ليُحيينا، وهو فعل التبرير، إذ كنّا خاطئين برهن اللّه عن محبّته لنا بأن المسيح مات من أجلنا (روم ٥:٨)، وهو فعل المصالحة، بل نحن أيضًا نفتخر باللّه، والفضل لربّنا يسوع المسيح الذي به نلنا الآن هذه المصالحة (روم ٥:١١). وفعل اللّه يخرج عن منطقنا الذي يعطي المستحقّ، ويعطي على قدر الاستحقاق: «قلّما يموت أحد من أجل إنسان بار، أمّا من أجل إنسانٍ صالح فربّما جروء أحد أن يموت. ولكنّ اللّه برهن عن محبّته لنا، بأنّ المسيح مات من أجلنا ونحن بعد خاطئون» (روم ٥: ٧–٨). فعلُه يتخطّى منطقنا وحساباتنا، ويُعطي منطقاً آخرَ يُبنى على أساس موت البار عن الخاطئ، والعطية التي تفوق بلا قياسٍ استحقاق المُعطى له. وهو فعل الغفران الذي يُعيد الخَلق مرّة أُخرى، وينسى الآثام ويغسلها، «كبُعد المشرق عن المغرب أبعد عنّا معاصينا؛ كما يرأف الأب ببنيه يرأف الربّ بمَن يتّقونه لأنّه عالِم بجبلتنا وذاكر أنّنا تراب» (مز ١٠٣: ١٢–١٤)؛ «نقّني بالزوفى فأطهر، اغسلني فأفوق الثلج بياضًا» (مز ٥١:٩).

قال خوري آرس يومًا في صلاته: «نشكرك أيُّها الآب لأنّك لَم تسألنا ماذا نريد، لأنّنا لَم ولن نجرؤ على طلب حياة ابنك فداءً لخطيئتنا». فعل اللّه لا يُحدّ ولا يُدرَك، وهو يأتي كنور الفجر فجأةً ويُعطي ذاته بالكلّية. هذه الخبرة عاشها الرسول بولس في تفاصيلها وهو في طريقه إلى الشام ليعتقل الرجال والنساء الذين يجدهم هناكَ على مذهب الربّ (أع ٩:٢)، إذ رأى حوله بغتةً نورًا من السماء أبهى من شعاع الشمس، وسمع صوتًا يقول له: أنا يسوع الذي تضطهده (أع ٢٦: ١٣–١٥). اختبر تدخّل اللّه المفاجئ والجذريّ، فعل الخَلق الذي يفصل بين واقعٍ ومرتجى، وبين حالة ومطلوب نبوي. واختبر هذا الغفران الذي لا يوصف، كيف تغاضى الربّ عن خطيئته واستفحال إرادة الإلغاء عنده تجاه هذه النبتة التي تغرسها يد الرب (مز ٨٠: ٩–١٠)، ليجعل منه حارثًا لكرمه وزارعًا نشيطًا لكلمته.

المحور الثاني: قراءة للزمن

نقرأ في هذا المقطع تركيزًا كبيرًا على الزمن، وخبرة الزمن ليست أفقيّة بل دائريّة. تبدأ في الزمن الذي حدّده اللّه (روم ٥:٦) ولا تعود تنتهي، وتخلق واقعًا جديدًا، جِدَّة الخَلق، ويصيرُ الكلام عن الحال قبل فِعلِ اللّه وبعده. «**لمّا** برّرنا اللّه... (روم ٥:١)، **ولمّا** كنّا ضعفاء... **في الوقت** الذي حدّده اللّه (روم ٥:٦)، فكم بالأولى **الآن بعدما**... (روم ٥:٩)، صالحنا بابنه **ونحن أعداؤه**، فكم بالأولى أن نَخلُصَ بحياته **ونحن متصالحون**... به نلنا **الآن** هذه المصالحة (روم ٥:١١).

يضع الرسول خبرة الخلاص في انشداد دائم ولولبيّ بين لمّا والآن، بين ما كنّا عليه ونحن أعداء وما نحن فيه ونحن متصالحون. وهذا الانشداد هو في آن صراع كلّ لحظة ونعمة كلّ لحظة، فيُخلع الإنسان العتيق في الآن ليصير في بهاء الإنسان الجديد المُنعم به مجانًا والمُعطى نتيجة لجهادٍ روحيّ متواصل. قراءته للزمن تحشر الزمن كلّه في الآن، لأنّنا في كلّ لحظة نحن خطأة وأعداء، وفي كلّ لحظة نحن مفديّون ومحبّوبون.

وفعل اللّه الذي تجلّى في الزمن، وفي زمنٍ معيّن من خلال ابنه الذي لبس جسدَ تواضعنا (فل ٢:٧) يجعل من كلّ الزمن الماضي تجسّدًا في الآن لنعمة الخلاص، وبدءًا جديدًا لمسيرة المصالحة.

المحور الثالث: جواب الإنسان على خلاص اللّه

يتطوّر جواب الإنسان في هذا المقطع المقاضب من فكر الرسول بولس، من دهشة الذي يوهبُ فجأةً عطيّة لا تُقارَن بشيء إلى موقف وجوديّ متجسّد في برهان الحبّ.

يبدأ المحور بحقلٍ كلاميّ يستعمل مفردات: التبرير والإيمان والنعمة ومحبّة اللّه المسكوبة في قلوبنا بالرُّوح القدس الذي وهبه اللّه لنا، والمصالحة المجانيّة، ودم المسيح الذي برّرنا... كلّ هذه المفردات منسوبة إلى اللّه، وما على الإنسان إلاّ قبولها والفرح بها. وصورة هذا التعبير هي الحركة النازلة من اللّه إلى الإنسان. ويصير التعبير في قلب النصّ من خلال الكلام عن الوضع البشريّ: الخاطئون، إنسان صالح، متصالحون... وهذا التعبير يضعنا في إشكاليّة مجانيّة النعمة والجهاد من أجل النعمة. نقرأ عن الخاطئين وليس فقط عن الخطيئة، وعن المصالَحين وليس فقط عن المصالحة. تجسّد الخطيئة والمصالحة في إنسانٍ حيّ هنا والآن هو التعبير الآخر الذي يُعطيه الرسول بولس لجواب الإنسان. فعل اللّه الذي يُعطى نعمةً وخلاصًا مجانيًّا لا حدود له، يتجسّد في الإنسان وفي الـ هنا والآن.

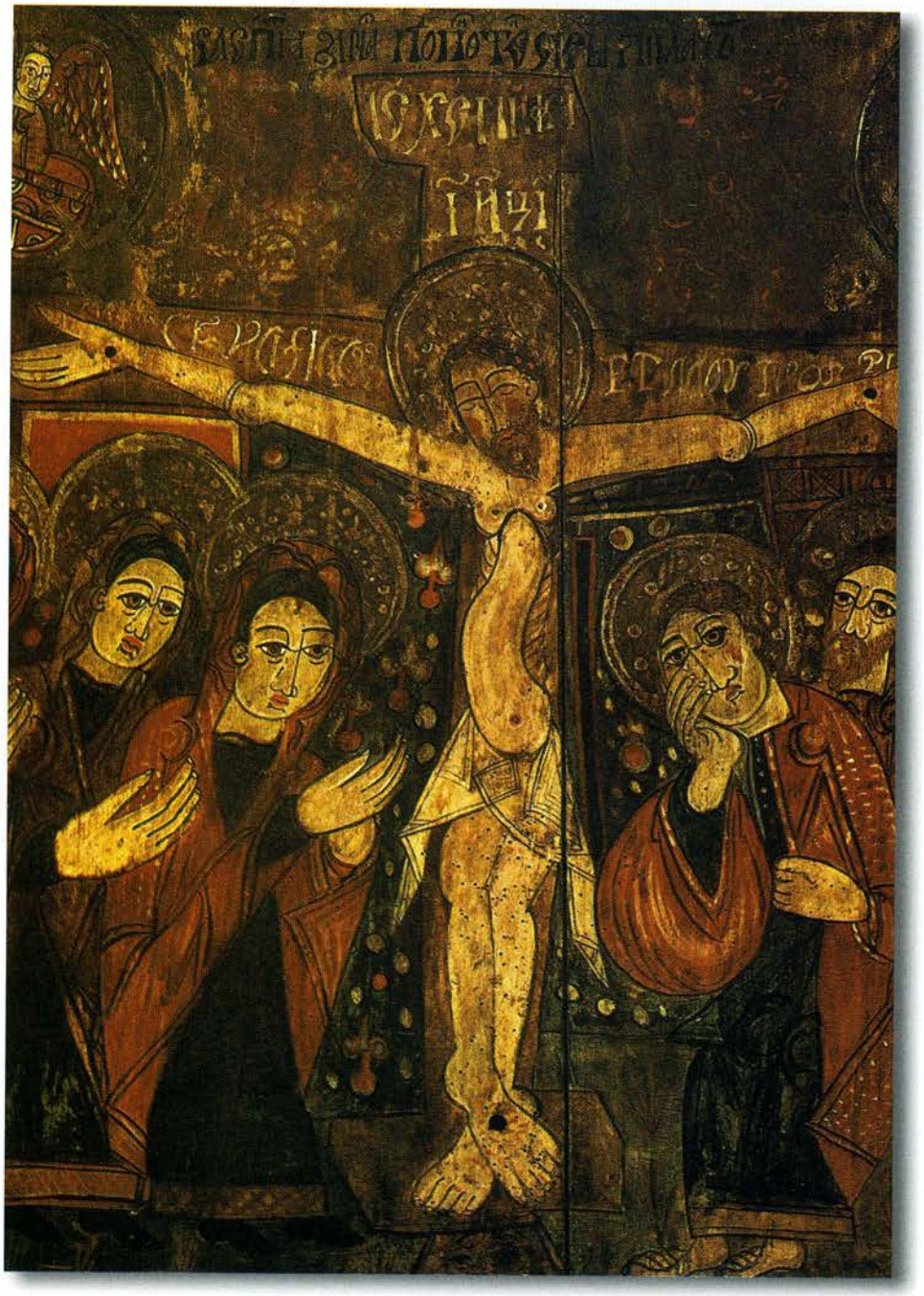

Voir *La Bible, Nouveau Testament*, t. 1 (Le Livre de Paris) 1975, 339

«ولّما كنّا ضعفاء، ماتَ المسيحُ من أجلِ الخاطئين في الوقت الذي حدّده الله» (روم ٥:٦)

من تعبير الافتخار على رجاء المشاركة في المجد، وخبرة الشدّة التي تلد الصبر، وخبرة الخلاص بحياته (المسيح) ونحن متصالحون. بمعنى آخر، لا يكفي أن نكون اختبرنا الخلاص مرّة واحدة – بموت المسيح وبدمه – بل بحياة المسيح وحياتنا فيه وتجسيد الخلاص في ظروف كلّ يوم. وصورة هذا الجواب هي الحركة الصاعدة من الواقع البشريّ إلى اللّه.

نسمع في النصّ ائتلافا متناغمًا بين الصوت الآتي من اللّه يُعطي النغمة الأساسيّة، والصوت الطالع من حنجرة الإنسان يُرجّع النغمة كلٌّ بصوته وإبداعه.

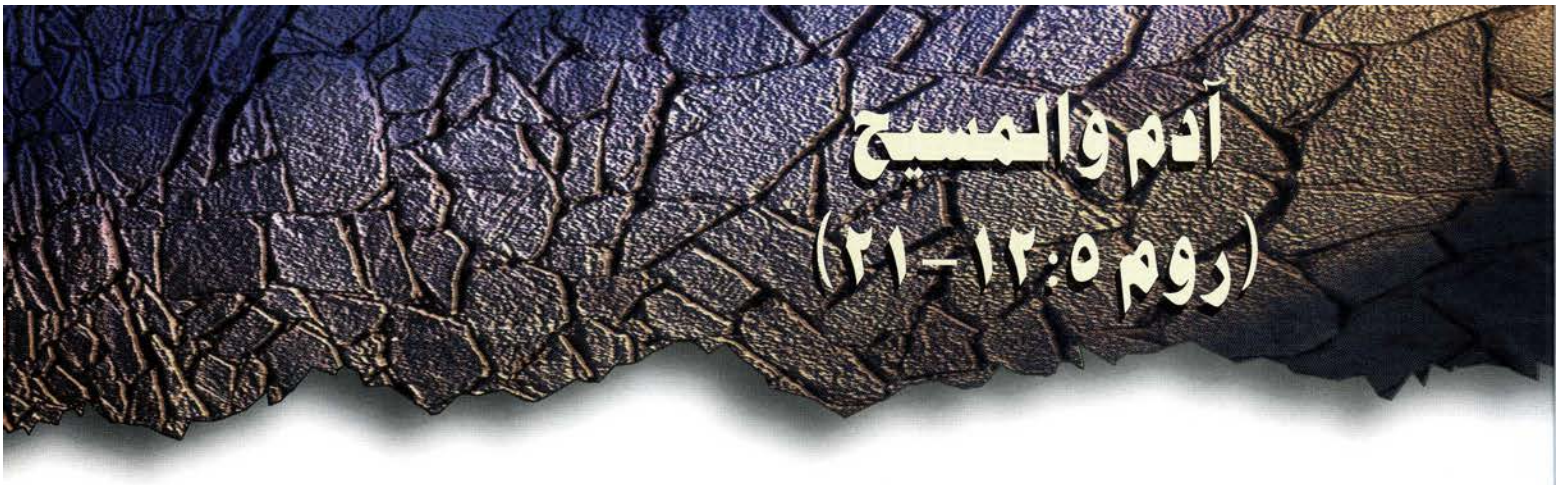

آدم والمسيح (روم ٥:١٢-٢١)

الخوري نعمةالله الخوري

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2074.

«أجرة الخطيئة هي الموت»
الموت : مجموعة شْتَمِّلْ (Stammel)
في مكتبة دير أدمون في ستيريا، النمسا

مقدمة

أعلن القديس بولس في الفصول الثلاثة الأولى من رسالته إلى أهل روما (روم ١:١٨-٣:٢٠) أنّ اليهود والوثنيّين هم تحت سلطة الخطيئة؛ لقد حُرم جميع الناس من مجد اللّه، ولا تستطيع الشريعة، ولا حتى شريعة موسى، أن تُعطي الناس التبرير. بعد أن عرض بولس الرسول هذه الصورة المظلمة عن البشريّة الخاطئة، انتقل إلى مرحلة ثانية من تاريخ الخلاص، وهذه المرحلة تبدأ مع التبرير الذي منحه المسيح لجميع الناس الخطأة (روم ٣:٢١-٣١).

في هذا الاطار كتب بولس المقطع الذي نعالجه من الرسالة إلى الرومانيّين (روم ٥:١٢-٢١)، حيث يريد أن يبرهن أنّ آدم هو سبب وضع البشريّة الخاطئة، في حين أنّ المسيح هو الذي حرّر البشريّة من عبوديّة الخطيئة.

سنحاول أن نشرح المقارنة بين صورة آدم وصورة المسيح لنفهم العلاقة التي تربط الانسان الأول بالمسيح الذي تجسّد في ملء الأزمنة.

أولاً : الانسان الأول الذي أدخل الخطيئة إلى العالم

يقول القديس بولس في بداية تحليله : «فكما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد...» (روم ٥:١٢)؛ نلاحظ أنّه لا يذكر بشكل واضح وصريح اسم آدم الذي ارتكب الخطيئة الأولى، بل هو يشير إلى إنسان واحد أدخل الخطيئة إلى العالم؛ ممّا لا شك فيه أنّ الانسان الأول المقصود هو آدم، ولكنّ اسمه لا يظهر صراحة. غير أنّ الرسول أشار إلى آدم بشكل واضح في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس حيث يقول : «عن يد إنسان أتى الموت، فمن يد إنسان أيضاً تكون قيامة الأموات، وكما يموت جميع الناس في آدم، فكذلك سيحيون جميعاً في المسيح» (١ قور ١٥:٢١-٢٢)؛ في هذا المقطع من الرسالة الى أهل قورنتس، يقارن بولس بين آدم سبب الموت وبين المسيح سبب الحياة، ولكنّنا لا نعلم ما هو السبب الذي أدخل الموت إلى العالم، غير أنّ المقارنة بين آدم والمسيح في الرسالة إلى أهل روما لها بُعد آخر: يقول بولس الرسول للرومانيّين أنّ خطيئة الانسان

الأوّل هي السبب الذي أدخل الموت إلى العالم، وهذا يعني أنّه توجد علاقة بين الخطيئة والموت.

ثانياً : المقارنة بين صورة آدم وصورة المسيح

تكلّم بولس، في بداية رسالته إلى أهل روما، على البشريّة الخاطئة؛ أراد أن يبرهن الآن بواسطة الكتاب المقدّس سبب دخول هذه الخطيئة إلى العالم، لذلك عاد إلى بداية الكون حين وقع آدم في المعصية، واعتبر الرسول أنّ هذه الزلّة هي التي جرّت البشريّة إلى الهلاك. هذه البشريّة التي تتخبّط في الظلام هي بحاجة ماسّة إلى الخلاص والتبرير الذي قدّمه المسيح. إنّ المقارنة بين صورة آدم الخاطئ وصورة المسيح المبرّر تجعلنا ندرك أهميّة الخلاص الذي ناله الناس من الرب يسوع.

١ – آدم الخاطئ (آ ١٢)

لاحظ بولس أنّ غضب اللّه وحكمه على البشر هما نتيجة لخطيئة الانسان الأوّل، وهذا الانسان هو بلا شك آدم، لذلك بدأ المقارنة بين آدم والمسيح بقوله: «فكما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنّهم جميعاً خطئوا...» (روم ٥: ١٢). إذا قرأنا هذه الآية بتمعّن نلاحظ أنّ المقارنة هي ناقصة، إذ تتضمّن القسم الأوّل من التشبيه، ولكنّها تفتقد إلى القسم الثاني؛ فالرسول يبدأ قوله بعبارة : «فكما أنّ...بانسان»، ولكنّنا نستغرب أنّنا لا نعرف من هو الشخص الذي يضعه بولس إزاء آدم في هذه المقارنة؛ فمن المفروض أصلاً أن يتضمّن التشبيه عنصرين مختلفين : يبدأ التشبيه بكلمة «كما»، ثمّ يكتمل بكلمة «كذلك»؛ نعطي مثلاً على ذلك قول يسوع بعد شفاء مقعد بيت ذاتا: «فكما أنّ الآب يقيم الموتى ويُحييهم، كذلك الابن يُحيي من يشاء» (يو ٥: ٢١).

غير أنّ التشبيه الذي بدأ بولس تحليله في روم ٥: ١٢ يبقى ناقصاً، فنحن نفهم أن آدم هو سبب وضع البشريّة الخاطئة، ولكن الرسول لم يُكمل تشبيهه ليعرض، إزاء آدم، صورة المسيح الذي أعطى التبرير والخلاص. بعبارة أخرى نقول: لكي يكون التشبيه كاملاً، كان من المفروض أن يعرض الرسول كلامه على الشكل التالي : «فكما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد (آدم) وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنّهم جميعاً خطئوا، كذلك البر دخل في العالم عن يد إنسان واحد (المسيح)، وبالبر دخلت الحياة، وهكذا عمّت الحياة جميع الناس لأنّهم جميعاً تبرّروا». إنّ إعادة البناء هذه لها ما يبرّرها، لأنّها تتطابق مع تعليم الرسول في الفصول الثلاثة الأولى من رسالته إلى أهل روما : كما شرحت صورة آدم وضع البشريّة الخاطئة، كذلك يجب أن تشرح صورة المسيح (الغائبة عن التحليل) وضع البشريّة المبرّرة.

إنّنا نتساءل : لماذا قطع بولس المقارنة بين آدم والمسيح في آ ١٢، وعالج في الآيتين اللاحقتين (آ ١٣–١٤) موضوعاً آخراً، وهو دور الشريعة في تاريخ الخلاص، ثمّ عاد ليتحدّث من جديد عن المقارنة بين آدم والمسيح في آ ١٥ وآ ١٨؟ للإجابة عن هذا السؤال، علينا أن نفهم معنى الآيتين ١٣ و١٤ اللّتين اقحمهما الرسول حين أراد أن يقارن بين آدم والمسيح.

٢ – دور الشريعة في تاريخ الخلاص (٥: ١٣–١٤)

يقول بولس الرسول : «فالخطيئة كانت في العالم إلى عهد الشريعة، ومع أنّه لا تُحسب خطيئة على فاعلها إذا لم تكن هناك شريعة، فقد ساد الموت من عهد آدم إلى عهد موسى، ساد حتى على الذين لم يرتكبوا خطيئة تُشبه معصية آدم، وهو صورة للذي سيأتي» (روم ٥: ١٣–١٤). إنّ الشريعة التي أعطاها موسى هي التي حدّدت أنواع الخطايا؛ فبعد أن نال موسى لوحي الوصايا في جبل سيناء، قال للشعب العبراني إنّ الزنى والقتل والسرقة... هي خطايا يجب الابتعاد عنها. هذا يعني أنّه قبل أن يعطي موسى الشريعة لم تكن هناك خطايا، فكيف يمكن للرسول أن يبرهن أنّ الانسان الأوّل جرّ البشريّة إلى الموت بسبب ارتكابه الخطيئة، والرسول يعلم أنّ آدم قد خطئ قبل ظهور الشريعة؟ يقول بولس في هذا الأمر : «لا يمكن أن تُحسب خطيئة على فاعلها إذا لم تكن هناك شريعة» (٥: ١٣).

من الواضح أنّ الرسول، حين تكلّم عن خطيئة الانسان الأوّل، أوجد تناقضاً مع تعليم الشريعة التي تنفي وجود الخطيئة قبل مجيء موسى؛ لذلك قطع مقارنته بين آدم والمسيح في آ ٢١، ليبرّر وجود الخطيئة قبل مجيء شريعة موسى. قلّل بولس في الآيتين ١٣ و١٤ من أهميّة الشريعة، واعتبر أن الشريعة الالهيّة التي أعطاها اللّه لآدم في الفردوس هي التي تحدّد الخطيئة؛ قال اللّه لآدم: «من جميع شجر الجنّة تأكل أكلاً،

«لا يتبرّر إنسان أمام الله بأعمال الشريعة»

ميزان العدل الالهي؛ رأس عامود كنيسة مار بطرس في شوڤينيي (Chauvigny)، ڤييّنا، من القرن الثاني عشر

وأمّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنّك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢:١٦-١٧). خالف آدم وصيّة الله ووقع في الخطيئة، وذلك قبل ظهور شريعة موسى بفترة طويلة من الزمن. بعبارة أخرى، يريد الرسول أن يقول في الآيتين ١٣ و١٤ أنّ الموت لم يتسلّط على الناس نتيجة لطبيعة الخطيئة التي دخلت إلى العالم من جرّاء معصية آدم.

باختصار نقول: إنّ بولس يريد التشديد على صورة آدم، وفي الوقت عينه يريد التقليل من دور الشريعة في تاريخ الخلاص. كلّ شيء يجري بين قطبين : آدم والمسيح، أمّا الشريعة التي ظهرت في أيّام موسى فلها أهميّة محدودة ونسبيّة؛ من الآن فصاعداً لا يستطيع اليهود الموجودون في روما أن يتباهوا أمام الوثنيّين أنّ الله خصّهم بالشريعة دون سواهم من الشعوب : جميع الناس يخضعون للشريعة الالهيّة التي أعطاها الله لأبيهم آدم؛ فاليهود والوثنيّون هم متساوون لأنّهم أبناء آدم الخاطئ. هنا نذكر أنّ سلالة يسوع بحسب متّى (مت ١:١-١٧) انطلقت من ابراهيم لتدلّ على انتماء يسوع إلى الشعب اليهودي، في حين أنّ لوقا يصعد بسلالة يسوع إلى أبعد من ابراهيم، فيصل إلى آدم ليبرهن عن تجذّر يسوع في تاريخ البشريّة جمعاء؛ فهو جاء يعطي الخلاص لجميع الشعوب. هنا يلتقي لوقا مع بولس في تعليمهما حول شموليّة الخلاص لجميع الناس، ونحن نعلم أنّ لوقا كان يرافق أحياناً بولس في رحلاته الرسوليّة، فلا نستغرب التطابق بين تعليمهما.

٣ - المسيح معطي التبرير (آ ١٥-٢١)

بعد أن بدأ بولس تحليله انطلاقاً من آدم الخاطئ، وبعد أن قطع هذا التحليل ليتحدّث عن دور الشريعة في تاريخ الخلاص، عاد إلى المقارنة بين آدم والمسيح في الآيات ١٥-٢١، ليشير إلى أهميّة دور المسيح.

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2068.

في آ ١٥ يقارن بولس بين زلّة آدم وعطيّة المسيح : «ولكن ليست الهبة كمثل الزلّة : فإذا كانت جماعة الناس قد ماتت بزلّة إنسان واحد، فبالأحرى كثيراً أن تفيض على جماعة الناس نعمة اللّه والعطاء الممنوح بنعمة إنسان واحد، ألا وهو يسوع المسيح».

في آ ١٥ وفي آ ١٧. لا تدلّ عبارة «بالأحرى كثيراً» على المساواة بين آدم والمسيح، بل على مفاضلة، لأنّه لا مجال للمقارنة بين آدم والمسيح. يعتبر بولس أنّه لا يجب أن نضع على مستوى واحد الخطيئة والحكم والموت التي قدّمها آدم للبشريّة، إزاء النعمة والبر والحياة التي أعطاها المسيح للبشريّة. أراد الرسول أن

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2074.

أتجهلون أنّ جميعاً نحن الذين عُمّدنا بالمسيح، بموته قد عُمّدنا ؟ (روم ٦:٣)

جرن معموديّة فريد في صحن كنيسة القدّيس نقولا في جزيرة پاروس (Paros)

كذلك في آ ١٨ يعرض الرسول المقارنة عينها ولكن بوضوح أكثر : «فكما أنّ زلّة إنسان واحد أفضت بجميع الناس إلى الإدانة، فكذلك برّ إنسان واحد يأتي جميع الناس بالتبرير الذي يهب الحياة». نشير هنا إلى أنّ الرسول بولس يعرض جزئياً في آ ١٨ التحليل المقطوع في آ ٢١؛ فالمقارنة بين آدم والمسيح هي واضحة هنا في هذه الآية. يظهر المسيح في هذه المقارنة متفوّقاً على الانسان الأوّل؛ وللوصول إلى الهدف، استعمل بولس برهاناً يستند إلى عبارة «بالأحرى كثيراً» التي نجدها يبرهن أنّه لا توجد مساواة بين آدم الخاطئ والمسيح المُبرِّر، بالرغم من أنّه في كلتا الحالتين ما يصنعه الواحد منهما يطال جميع الناس.

يسمّي بولس آدم «صورة الذي سيأتي» (آ ١٤)؛ هذه العبارة تعني أنّ آدم هو في تصميم اللّه صورة وشبه للمسيح الذي سيأتي؛ إنّ معنى وجود آدم ودوره في تاريخ الخلاص لم يظهرا إلاّ بمجيء المسيح، وبالتالي إنّ تضامن جميع الناس مع آدم في الخطيئة لا يتّضح معناه إلاّ بتضامن الناس مع المسيح في الحياة والبرّ.

خاتمة

وجد الشرّاح عبر العصور في هذا المقطع من الرسالة إلى الرومانيّين الذي عالجناه، برهاناً كتابيّاً عن وجود الخطيئة الأصليّة في العالم منذ بداية الخليقة. أشار الرسول إلى هذه المعصية الأولى، ولكنّه في الوقت عينه تكلّم عن خطايا الناس الشخصيّة (آ ١٢) ليبرز المساواة بين جميع الناس في الخطيئة. إنّ خطايا الناس الشخصيّة لا يمكن أن نفصلها عن خطيئة آدم التي أدخلت الموت إلى العالم. لقد أضحى جميع الناس الذين يرزحون تحت نير الخطيئة، بحاجة ماسّة إلى نعمة المسيح وتبريره، لأنّ عمل المسيح الخلاصي يحقّق إعادة التوازن في الخلل الذي سبّبه آدم. إن المؤمنين الذين ينالون الخلاص بالمسيح يغيّرون انتماءهم وهويّتهم : قبل التعرّف إلى المسيح كان الناس الخطأة يُعتبرون من ذريّة آدم ونسله، ولكن بعد أن نال الناس التبرير بيسوع المسيح أصبحوا خليقة جديدة، وقد وُلدوا ولادة ثانية في مياه المعموديّة التي تطهّر خطاياهم.

المراجع:

الفغالي الخوري بولس، **رسالة القديس بولس إلى الرومانيين** (سلسلة محطات كتابية ١؛ المطبعة البولسية، جونيه، لبنان ١٩٩٥) ١٢٦-١٣٤.

مجموعة محاضرين، **رسائل القديس بولس** (سلسلة محاضرات، دير مار روكز، الدكوانة، لبنان ١٩٩٩) ٢٣-٤١.

Jean-Noël ALETTI, *Comment Dieu est-il juste? Clefs pour interpréter l'épître aux Romains* (Seuil: Paris 1991) 228ss.

Charles PERROT, *L'épître aux Romains* (Cahiers Evangile 65; Cerf: Paris 1988), spéc. 32-35.

الحياة في المسيح
(روم ٦)

الأباتي بولس تنّوري

Voir *La Cathédrale de Monreale* (Testo di Sandro Chierichetti; Milano) 31.

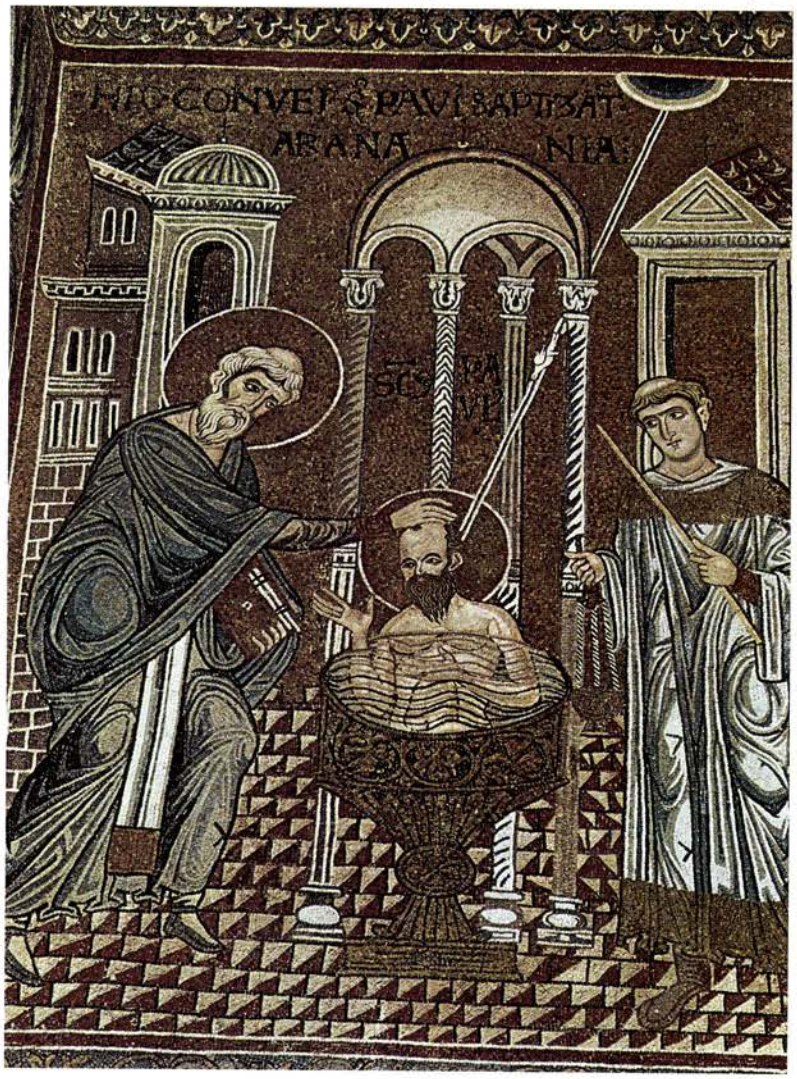

حنانيا يعمّد شاوول الذي ينزل عليه الروح القدس بشكلِ حمامة،
والممثّل بشعاعٍ هابطٍ من السماء

١ – تقديم النص

الفصل السادس يشكّل مع الفصل الخامس قلب الرسالة إلى الرومانيّين، أو على الأقل قلب الوحدة الأدبيّة الكبيرة المؤلّفة من الفصول ١–٨.

في هذه الوحدة يعرض الرسول تعليمه حول عمل المسيح الخلاصي بالنسبة إلى عالم كان تحت سلطان الموت والخطيئة، لينتقل بفضل عمل المسيح إلى البرّ والحياة.

في الفصل السابق (٥:١٢–٢١)، كان الرسول قد عرض للمأساة الكونيّة انطلاقاً من المقارنة بين آدم والمسيح، وبين عمل الأوّل وعمل الثاني، مركزاً على عدّة نقائض: الخطيئة – البرارة، الموت – الحياة، الشريعة والنعمة.

في الفصل السادس، يتابع بولس عرض هذا الموضوع عينه، موضوع التحرّر من سيادة الخطيئة والموت، لتكون للناس البرارة والحياة. ولكنّه هنا ينتقل من التركيز على عمل المسيح، كما فعل في الفصل الخامس، إلى التركيز على عمل المؤمن ومشاركته في عمليّة التحرّر هذه. هذا ما يشير إليه Lyonnet* في شرحه

* S. LYONNET, *Les étapes du mystère du salut selon l'épître aux Romains* (Cerf: Paris 1969).

للرسالة إلى الرومانيّين، إذ يميّز بين الخلاص الموضوعي الذي حقّقه المسيح، والخلاص الشخصاني الذي على المؤمن أن يحقّقه. لذلك، إذ نعطي للفصل السادس عنوان «الحياة في المسيح»، نعني به هذا البعد الديناميكي للحياة النابعة من عمل المسيح، والتي يشارك فيها المؤمن ليتحرّر من سلطان الخطيئة والموت. ومن الواضح بأنّ الرسول يخاطب مؤمني روما باستعماله ضمير جمع المتكلّم «نحن»، وضمير جمع المخاطب «أنتم»، أي الذين آمنوا واعتمدوا بالمسيح. فهو يحدّث المؤمنين عن نوعيّة الحياة الجديدة التي عليهم أن يحيوها ليعبّروا عن حقيقة إيمانهم.

٢ – هيكليّة النص

يبدأ الفصل باعتراض استفهامي: «فماذا نقول؟ أنتمادى في الخطيئة لتكثر النعمة؟» وبهذا الاعتراض يصلنا الرسول بما كان قد انتهى إليه في الفصل السابق من مقارنة بين الشريعة والنعمة، وثمار الأولى الخطيئة والموت، بينما ثمار الثانية البرّ والحياة الأبديّة. ثمّ في آ ١٥ يرجع بولس إلى نفس الاعتراض: «فماذا إذاً؟ أنخطأ لأنّنا لسنا في حكم الشريعة، بل في حكم النعمة؟» لذا يرى عدد من الشراح بأنّ الفصل يقسم إلى قسمين، يبدأ كلاهما بنفس الاعتراض، فيجاوب عليهما الرسول شارحاً، في كل منهما، لاهوت الحياة الجديدة في المسيح. فيكون القسم الأوّل مؤلّفاً من الآيات ١–١٤ والقسم الثاني من الآيات ١٥–٢٣. بينما يرى شراح آخرون بأنّ القسم الأوّل ينتهي مع آ ١١، حيث العبارة «أحياء لله في يسوع المسيح» تشكّل ختاماً للشرح المبدئي لحقيقة المعموديّة. والعبارة نفسها تأتي في ختام القسم الثاني: «وأمّا هبة الله فهي الحياة الأبديّة في يسوع المسيح ربّنا». هكذا يكون القسم الثاني إعادة لما ورد من أفكار في القسم الأوّل ولكن كتطبيق حياتي لها، وهو في كلّ الأحوال يغلب فيه طابع الوعظ، بينما يغلب في القسم الأوّل، الطابع العقائدي. شخصيّاً أفضّل هذه الطريقة الثانية لتقسيم النص، وقد استوحيت العنوان «الحياة في المسيح» من العبارة الختاميّة التي ترد في نهاية القسمين.

٣ – القسم الأوّل: آ ١–١١

على الاعتراض الوارد في الآية الأولى يجاوب بولس مستعيناً بمعنى العماد الذي مرَّ به المؤمنون بالمسيح. فكيف يمكن أن يفعل الخطيئة من مات في العماد مع المسيح عن الخطيئة؟ والرسول هنا لا يقصد أن يلقي تعليماً جديداً على الرومانيّين عن المعموديّة، بل يستعين بما ينبغي أن يكونوا عالمين به، ليؤكّد لهم بطلان هذا الاعتراض. يشهد على ذلك تكرار الأفعال التي من شأنها أن تذكّر الرومانيّين بما يعلمون: «أو تجهلون» في آ ٣، و«نحن نعلم» في آ ٦، «ونعلم» في آ ٩. هذه المعلومات البدائيّة عن الإيمان المسيحي تشكّل نواة البشرى الأولى. عليها يرتكز الرسول، كما على طريقة ممارسة سرّ المعموديّة وما يسبقه من تعليم، ليستنتج بأن بين المؤمن بالمسيح والخطيئة قطيعة واضحة منذ معموديّته. فما قاله الرسول في الفصل السابق بالنسبة إلى الشريعة، التي عجزت عن تبرير الناس، لا بل زادت الزلة (٥: ٢٠)، لا يمكن تفسيره وكأنّه دعوة للتفلّت من الشريعة والتزاماتها. فيعيش المؤمن بالمسيح وكأن لا شريعة له، متّكلاً على أنّ النعمة التي نالها من يسوع تكفي وحدها لتعوض عن الإباحيّة الأخلاقيّة التي أصبح حرّاً بأن يتبنّاها لحياته الخاصّة. ربّما هذا ما كان يتّهم به المسيحيّون المتحدرون من أصل يهودي الرسول بولس بسبب انفتاحه الزائد تجاه المؤمنين من أصل وثني، وعدم إيلائه أيّة أهميّة للشريعة بالنسبة إلى المؤمن بالمسيح، وكأنّه بذلك يدعو المؤمن إلى إباحيّة أخلاقيّة، لا يمكن لأحد بأن يبرّرها. بعكس ذلك، يدعو الرسول بولس جميع المؤمنين، سواء كانوا من أصل يهودي أو وثني، لكي يعوا أبعاد الإيمان الذي اعتنقوه. فالمؤمن بالمسيح «صلب مع المسيح» سريّاً في العماد، «ومات معه»، ويؤمن بأنّه «سيحيا معه». هذه الأفعال الخاصّة بالقدّيس بولس ترد هنا لتؤكّد على الشراكة في المصير مع المسيح، وبالتالي على ضرورة العيش مثل المسيح بعد قيامته، منتصراً على الخطيئة والموت، ليحيا لله. هذا هو مصدر كل الاستنتاجات الأخلاقيّة بالنسبة إلى المؤمن. فالإلزامات الأخلاقيّة لا يمكن أن تكون الشريعة مرجعيّتها بالنسبة إلى المؤمن، بل الإيمان بأنّه مدعو ليحيا بكليته لله. وهذا يشكّل إلزاماً إيمانيّاً أقوى من الشريعة أو من أي مرجعيّة أخرى. كما أنّ المؤمنين الذين يعتبرون أنفسهم «أمواتاً عن الخطيئة، أحياء لله في يسوع المسيح» (٦: ١١)، لا يمكنهم أن ينقادوا إلى أي نوع من الإباحيّة أو التمادي في الخطيئة، وإلاّ فلا يكونون يحيون لله في المسيح يسوع.

٤ – القسم الثاني: ١٢–٢٣

يتابع الرسول في هذا القسم ما كان قد توصّل إليه سابقاً، ولكن كلامه هنا يتّخذ طابع الوعظ والتحريض. هذا الطابع كان قد بدأ عمليّاً مع الآية الختاميّة للقسم الأوّل، إذ يقول: «فكذلك احسبوا أنتم أنفسكم أمواتاً...»؛ فالمؤمن مدعو إذاً للتخلّص كليّاً من سيطرة الخطيئة التي تعمل من خلال شهوات الجسد الفاني. فما تحقّق فيه سريّاً في المعموديّة عليه أن

يحقّقه حياتيّاً بالتحرّر من نير الخطيئة. إن دفن المسيح، الذي يعبر عن موته كليّاً (رج ١ قور ٣:١٥)، ينبغي أن يقابله عند المؤمن، الذي دفن المسيح بالمعموديّة، موت كلّي أيضاً عن الخطيئة. هذه الحقيقة ليست شيئاً جامداً، حصل مرّة في المعموديّة وانتهى، بل إنّها حقيقة ديناميكيّة تلازم حياة المؤمن اليوميّة ليعبر عنها بمسلكيّته. وعليه بالتالي أن يستنفر كلّ قواه، ولا سيّما إرادته، لئلاّ يعود إلى ما كان عليه من قبل، أي إلى العيش بحسب الجسد أو بحسب الإنسان القديم. لذلك يكثر الرسول من استعمال لغة الأمر أو النهي فيقول «لا تسودنّ»، «ولا تجعلوا»، «بل اجعلوا»، «واجعلوا» (٦:١٢-١٤). وكل هذا لينبّه المؤمنين ويحثّهم على العيش بحسب حقيقة إيمانهم. لقد خرج المؤمنون من إطار حكم الخطيئة والشريعة إلى إطار حكم النعمة وسيادة المسيح. وما طلب الرسول منهم بأن يحسبوا أنفسهم أمواتاً عن الخطيئة إلاّ تأكيد بأنّ الخطيئة لم تمت بعد، وهي ما زالت فاعلة في العالم، وبالتالي عليهم أن يتحرّروا منها بتجاوبهم المسؤول مع قوّة النعمة الفاعلة فيهم. وهكذا يمكن القول بأنّ التحرّر من عبوديّة الخطيئة لا يعني أبداً بأنّه لم يعد هناك إمكانيّة لفعل الخطيئة، بل إنّه قد أصبح بإمكان المؤمن أن لا يخطأ.

أمّا الربط ما بين الخطيئة والشريعة، كما يظهر في آ ١٤ فما ذلك إلاّ تأكيد على ما سبق الرسول وأعلنه في روم ٣: ١٩-٢٠ وفي غل ٣:١٩، حيث يمكن اختصار عمل الشريعة بأنّه تثبيت للخطيئة. وفي هذا السياق، كما سبق وقال في روم ٥:٢٠، «إن الشريعة جاءت لتكثر الزلة». هناك إذاً، بالنسبة إلى الرسول، تماسك واضح بين الخطيئة والشريعة. والتحرّر من سيادة الأولى هو في نفس الوقت تحرّر أيضاً من سيادة الثانية. هذا التأكيد يستدعي العودة إلى الاعتراض الذي ورد في مطلع الفصل، ولكنّه هذه المرّة يركّز على كلمة «سيادة» أو «حكم»، فيقول: «فماذا إذاً؟ أنخطأ لأنّنا لسنا في حكم الشريعة بل في حكم النعمة؟» ويجاوب الرسول مباشرة نافياً إمكانيّة هذا الافتراض: «معاذ الله». ثمّ يعود إلى المقابلة ما بين العبوديّة للخطيئة التي عاقبتها الموت، والعبوديّة للبرّ وعاقبتها الحياة الأبديّة، كما يرد في الآيات ١٦-١٨. لا يهدف الرسول من ذلك إلى أن يضع المؤمنين أمام خيار حياتي بين إمكانيّتين متناقضتين. فالخيار قد اتّخذ بالمعموديّة وتقبّل التعليم الإيماني، لذلك يشكر بولس الله على ما حصل لهم، ويحثّهم على أن يتعلّموا من خبرة الماضي التي كانت تمرّداً على الله، ليعيشوا حياة طاعة له في الإيمان، فيجعلوا من أعضائهم «عبيداً في خدمة البرّ الذي يقود إلى القداسة». وهكذا يأتي الجواب على الاعتراض الثاني بالانتقال من عبوديّة إلى أخرى، من عبوديّة الخطيئة والشريعة إلى عبوديّة البرّ، والفرق شاسع بين الاثنين. يشدّد الرسول هنا على أنّ الحريّة لا يمكن أن تكون تحرّراً من البرّ، بل خادمة له، وهذا ما يعنيه في قوله «عبيداً للبرّ». وهو يعتذر عن هذا التعبير البشري (آ ١٩). وإذا كان الرسول قد لجأ في هذا القسم إلى التشديد على المقارنة بين الأمس واليوم، بين ما كان المؤمنون عليه قبل الإيمان والواقع الذي أصبحوا عليه بعد ذلك، فما ذلك إلاّ ليؤكّد على عمل الله في المسيح الذي حرّرهم من حالة سائرة باتّجاه الموت إلى حالة جديدة متّجهة نحو الحياة. وما عليهم إلاّ أن يكونوا في مسلكيّتهم منسجمين مع هذا الوضع الحياتي الجديد. وهذا كفيل بأن يقودهم إلى القداسة والحياة الأبديّة.

٥- الخاتمة

قراءة هذا الفصل أدّت مراراً إلى تفاسير بعيدة عن الواقع الإيماني الذي يشكّل محور حياة أي مؤمن بالمسيح، والذي أراد الرسول بولس أن يركّز عليه تعليمه. لا مجال لنا الآن لنذكر هذه القراءات المختلفة، إنّما نودّ أن نختصر أهمّ المعطيات الناتجة عن فهم الفصل في إطار الرسالة إلى الرومانيّين.

إنّ بولس يرى في المسيح رأساً للبشريّة الجديدة. وكما كان عمل آدم مأساويّاً بالنسبة إلى البشريّة كلّها من بعده، كذلك عمل المسيح؛ فهو يطال جميع البشر المدعوّين إلى الإيمان به. وبواسطة العماد ينضمّ المؤمن إلى هذه البشريّة الجديدة بقوّة النعمة المجانيّة النابعة من موت المسيح وقيامته، معلناً اعترافه بسيادة المسيح الكاملة عليه. هكذا يؤكّد هذا الفصل على فعاليّة موت المسيح وقيامته، وعلى أنّ العماد هو نقطة التلاقي الفعلي بين المؤمن ونعمة الله المتجليّة بالمسيح. لذلك، لا يمكن الفصل ما بين نعمة المعموديّة ونعمة الإيمان بالتبرير المجّاني. وكما أنّه لا إمكانيّة لإيمان مسيحي من دون المعموديّة، كذلك لا إمكانيّة للمعموديّة من دون الإيمان. لذلك يشدّد الرسول بولس في هذا الفصل على ضرورة التلاقي بين مسلكيّة المؤمن وموضوع إيمانه؛ فعلى المسلكيّة أن تعبّر عن الإيمان، لتكون الحياة في المسيح تعبيراً واضحاً عن التحوّل الذي يحدثه فينا الإيمان بموته وقيامته، وعن الحريّة الحقيقيّة التي يعلنها المؤمن بتحرّره الحياتي من أعمال الخطيئة. وهو بذلك بحاجة إلى عمل الروح القدس الذي يخرجه من دائرة الجسد وأعماله التي تؤدّي إلى الموت ويدخله في دائرة أعمال الروح المؤدية إلى الحياة. وهذا ما سيتابع الرسول بولس عرضه في الفصلين اللاحقين.

خلاص إسرائيل بالمسيح وليس بالشريعة (روم ١٠: ١-٢١)

د. منى عبيد

في هذا الفصل من الرسالة إلى أهل روما يبرز بولس الخطأ الذي يعيش فيه إسرائيل. فهو يفهم فقط أعماله ومميّزاته بشكل سطحي؛ يفهم الشريعة بمعنى تصرّفات وليس إيمان؛ ويحصر الخلاص بالشعب الموسوي، وينفيه عن الشعوب الأُخرى.

يتوجّه بولس إلى المسيحيّين في روما مناديًا إياهم بـ «الإخوة»، ويبدأ بصلاة وَتَمَنٍّ، «دعائي لله»، شبيهان بتشفّع نبويّ من أجل خلاص إسرائيل. فالصلاة عند بولس هي الفعل الأساسي قبل أي رسالة، هي القوّة التي تدفعه إلى الكرازة بالبشارة، وهي الالتزام الرئيسي في إعلان الخلاص بيسوع. إنه رسول الربّ منذ لحظة ظهوره له على طريق دمشق، لهذا فهو يصلّي بغيرة ومن كلّ قلبه من أجل خلاص اليهود، ويتلهّف أن يراهم يرتدّون إلى يسوع.

وحيث أنّ هدف صلاة بولس هو الخلاص، فهذا يعني أنّ الخلاص هو عطيّة من الله وليس فقط جهداً بشريّاً. والعطيّة لا تنفصل عن المعطي، وهذا يعني أنّ الله يعطي ذاته. هكذا فإنّ الخلاص الذي يمنحه الله «فقط» في

Voir *En ce temps-là. La Bible*, 87 (1971) 2086.

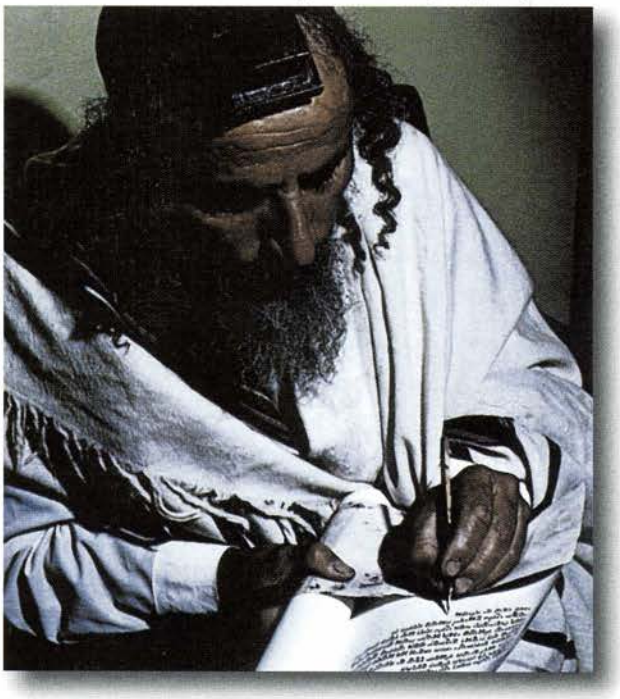

رابّي يهودي ينسخ التوراة، منتظراً أبداً «مَن سيأتي»

«كلّ ما كُتب سابقاً...»

يحلو للرسول بولس أن يكتشف في العهد القديم الانتظار الطويل للمسيح

(رج روم ١٥: ٣؛ مز ٦٩: ١٠). نجد في روم ١٥: ٩-١٢ مقتطفات من مز ١٨: ٥٠؛ تث ٣٢: ٤٣؛ مز ١١٧: ١؛ أش ١١: ١٠؛ الخ.)

المسيح، هو عطاء الله لذاته، من أجل أن يوجد البشر به فيخلصوا.

باختصار، يريد بولس القول إنّ «المسيحيّين» هم «المخلّصون» (رج ١ قور ١:١٨؛ ٢ قور ٢:١٥)؛ بتعبير آخر، «مسيحي» يعني «مُخَلَّص»، وبالتحديد، الخلاص يعني الإيمان بيسوع المتجسّد، أي الله الذي أعطى ذاته في يسوع المسيح، الوسيلة الوحيدة للخلاص، «برّ الله»، التدخّل الإلهي الجازم (آ ١).

نجد بولس قلقاً على بني قومه. بالنسبة إليه، ان عدم وصول إسرئيل إلى معرفة الله من خلال الإيمان بالمسيح هو كارثة! هو يشهد لليهود أنّهم يغارون على الشريعة، وهو الذي يعرف الشريعة تمامًا وبغيرةٍ أيضًا (رج أع ٢٢:٣)، ولربّما أكثر من غيرة (رج غل ١:١٤)، يعرف الخطأ الذي يقع فيه هؤلاء.

هذا الخطأ يكمن في أن اليهود، وإن كانوا يملكون الغيرة على شريعة الربّ، إلاّ أنّ غيرتهم عمياء؛ فهم يعتقدون أنّ حصولهم على الخلاص يتمّ بجهدهم الشخصي وببرّهم الذاتي، لهذا يرفضون مجيء الله في المسيح. معرفتهم بالشريعة خاطئة: «غير معرفة صحيحة»، فقد كانوا يهتمّون بمعرفتها معرفة عقليّة وليس معرفة روحانيّة بالتوغّل في التدبير الإلهي؛ لم يعرفوا «بر الله» الذي هو الأساس الذي يجعلهم «أبراراً».

الخضوع لـ «برّ الله» هو العلاقة الجديدة بين الإيمان والخلق الجديد، بين الإيمان وعمل الروح القدس، هو الانتظار في التحوّل إلى إنسان جديد في المسيح، والمستقبل الأبدي مع الله في الحياة النهيويّة.

لهذا، فإنّهم بمحاولتهم إقامة «برهم»، أي الحصول على الخلاص بجهدهم الذاتي وبأعمالهم، وبتطبيق الشريعة ظاهريًّا، يعاكسون «برّ الله» ويعاكسونها أيضًا، وكأنّهم يريدون الاكتفاء الذاتي وعدم الحاجة إلى عطيّة الخلاص من الربّ؛ لا يريدون الخضوع والشعور بأنّهم «مساكين يهوه» المتوسّلين خلاصه، لهذا رذلهم الله (آ ٢-٣).

يوضح بولس أنّ المعرفة الصحيحة هي المعرفة التي توصل إلى قبول المسيح: «غاية الشريعة هي المسيح». إنّ خطأ إسرائيل ليس في البحث عن البرّ، بل في نوعيّة البرّ الذي يبحث عنه، أي «برّهم» وليس «برّ الله»، وكأنّه برّ محصور بإسرائيل، محدود في «شعب» ما قبل الإيمان بالمسيح، متوقّف على القيام بمتطلّبات الشريعة السينائيّة والمحافظة عليها.

لأجل هذا يحاول بولس أن يجمع الشريعة الموسويّة مع البشارة بيسوع (خاصّة وأنّه من أصل يهودي)؛ فيسوع وحده تمام الشريعة، وقمّة التدبير الخلاصي. يسوع هو نقطة وصول الشريعة، هو الهدف، هو التطبيق الكامل لها.

يريد بولس أن يفهم أسرائيل بأنّ الشريعة هي الخيط الذي يوصل إلى يسوع، ولا بدّ لليهودي المؤمن المتمسّك بالشريعة أن يكمل الطريق حتى هدفه والذي هو يسوع المسيح؛ ومن لا يصل إلى يسوع بالإيمان، فهو أيضًا لا يؤمن بالشريعة وإن عمل بها (رج روم ٩:٣١).

هكذا تصبح الشريعة وسيلة الإيمان بيسوع (رج غل ٣:٢٤-٢٥) وليست وسيلة الخلاص. وبما أنّها ليست الوسيلة الوحيدة، إذًا «كلّ» من يؤمن بيسوع، وإن خارج الشريعة، والمقصود هنا اليونانيّين، ينال البرّ.

من ناحية أُخرى، بما أنّ الخلاص يتمّ الحصول عليه فقط بالإيمان بيسوع، فإنّ الشريعة لم يعد لها ضرورة؛ «ختام» الشريعة هو يسوع، من أجل خلاص «كلّ مؤمن»؛ وهكذا تستبعد أعمال الشريعة الموسويّة (آية ٤).

الشريعة تبرّر الذي يطيعها ويتمّمها، لكن ما من أحد استطاع ذلك. وهنا يستشهد بولس بالشريعة ذاتها (رج لا ١٨:٥)؛ فالحياة هنا ليست الحياة الزمنيّة الأرضيّة، بل هي الحياة الأبديّة في وحدة مع الله (رج متّى ١٩:١٧؛ لو ١٠:٢٨)، «يحيا به» حقيقة متمّمة بقيامة الربّ يسوع. من أجل هذا تفقد الشريعة قيمتها بعد مجيء المسيح، واليهود الذين ما يزالون يتمسّكون بها ويتأمّلون في الحصول على النعمة من خلالها هم في «جهل»، ويجهدون أنفسهم بدون فائدة (آ ٥).

أمّا السماء، حيث المكان الذي يعيش فيه الله مع ملائكته، وحيث يجلس الابن عن يمين الآب، فهي ذات المكان الذي نزل منه المسيح، وإليه عاد بعد القيامة (رج أف ٤:٩-١٠).

لنفس الهدف، يشير بولس مرّة أُخرى إلى نصّ آخر في الشريعة (رج تث ٣٠:١١-١٤)، وإن مع القليل من التغيير.

فمن أجل معرفة الشريعة الإلهيّة، ليس المهمّ البحث والاستقصاء فقط، خاصّة وأنّها تردّدت على لسان موسى، وأُعيدت على لسان الأنبياء والمعلّمين؛ كان الشعب يحفظها في عقله وعلى لسانه،

لكن بقي الشيء الأهمّ، وهو تنفيذها في حياتهم بمساعدة النعمة الإلهيّة.

يذكر بولس أن ليس المهمّ الصعود إلى السماء أو النزول إلى الهاوية من أجل معرفة إرادة الله، لأنّ الله قد تنازل واقترب وأظهر إرادته في الشريعة أوّلاً، لكنّه أتمّها في المسيح، الذي هو قريب جدًا. المسيح هو «الكلام»، «الكلمة»، «الحكمة»، وحكمته أن يكون هو «القريب» بما أنّ من الاستحالة على الإنسان أن يصعد إلى السماء أو ينزل إلى الهاوية لمعرفته.

القدّيس بولس يطبّق بهذا نصّ العهد القديم على الإنجيل في العهد الجديد، حيث إن كلمات موسى، بمعناها الروحاني، تتمّ في يسوع، «الكلمة الأزلي».

ويشرح بولس هذا فيقول: إن كان البعض يتصوّر بأنّ هناك ضرورة للصعود إلى السماء لإنزال المسيح، أو النزول إلى الهاوية لإصعاده، فيكون قريباً، فإن ذلك لا معنى له، لأنّ ابن الله قد نزل وتجسّد وتألّم ومات وقبر وصعد إلى السماء من أجل خلاص البشر، وذلك مرّةً واحدة عن كلّ المرّات (آ ٦–٧؛ رج روم ٤:٢٥؛ عب ٩:١٢؛ ١٠:٤).

لهذا يؤكّد بأنّ «الكلام بالقرب منك، في لسانك وفي جنانك»، وهو بهذا يقول في يسوع ما قاله موسى في الشريعة. والآن، فإنّ «حكمة الله» الذي هو «الكلمة»، «كلام الإيمان»، شامل للجميع، في كلّ الأزمنة، وحتى الزمن النهيويّ، وقيمته في الإيمان والخضوع ليسوع.

إذًا، الحقيقة الإيمانيّة التي ينادي بها الرسول بولس هي «الإيمان» بالمسيح القائم من الموت، وهي التي تؤدّي إلى «البر» (آ ٨).

أمّا جوهر الإيمان، فهو التوكّل على الربّ يسوع الحيّ، والاعتراف العلني به كـ «رب» باللسان وبالقلب، أي بالكلام وبالحياة المعاشة.

من جديد وبأسلوب آخر، يثبت بولس سيادة يسوع وسلطانه، قدرته الكلّية وتساميه الإلهي. فيسوع هو «الربّ»، وكلّ من يدعوه ويؤمن بذلك ينال الخلاص. هو وحده المخلّص لأنّه هو الإله، وهذه السيادة أصبحت أكثر وضوحًا منذ أن أقامه الآب من الموت. يسوع الإنسان الإله هو الربّ، هو السيّد، هو الملك وله كلّ سلطان.

أمّا الشهادة بأنّ يسوع هو الربّ فهي لا تعني فقط النطق بذلك، بل هي خبرة حياتيّة مع الربّ يسوع، أي خبرة من القلب، إيمان من الداخل، لأنّ الإيمان من القلب هو الدليل الحقيقي على الاعتراف العلني بربّانية يسوع، هو الاقتناع بحقيقة قيامته. إنّه الشرط الأساسي للخلاص.

هذا الإيمان من القلب لا يعني العواطف والأحاسيس، لأنّ القلب، حسب التفكير السامي، هو مصدر الفكر والذكاء والفهم. لهذا فإنّ الإيمان الذي يتحدّث عنه بولس هو إيمان واعٍ ناضج وذكي، هو الذكاء الذي تحرّكه الإرادة لقبول الحقيقة: «آمنت بحنانك». هذا الإيمان الداخلي يجب أن ينعكس خارجًا بالاعتراف العلني «باللسان».

يصرّ القدّيس بولس على أنّ الفعل الخارجي يجب أن يكون انعكاسًا صادقًا لحقيقة الإيمان الباطني بألوهيّة يسوع المسيح، الربّ الحيّ، وليس الميت، بل القائم بالمجد.

نتيجة لهذا، يكون الخلاص من الداخل وفي الداخل؛ يكون خلاصًا حقيقيًّا روحيًّا وأبويًّا.

ولأن ليس المقصود هنا الخلاص الخارجي أو المؤقّت، وجب أن يُمارَس الإيمان الداخلي في كلّ تصرّف خارجي للإنسان، لأنّ «القيمة للإيمان العامل بالمحبّة» (غل ٥:٦). إيمان وعمل.

صيغة الإيمان هذه، كانت في الكنيسة الأولى بمثابة قانون الإيمان اليوم. وبهذا الاعتراف كان الفرد يصبح عضوًا في الجماعة المسيحيّة، وتليه المعموديّة التي هي بحدّ ذاتها إشتراك في موت المسيح وقيامته. جوهر الرسالة في صيغة الاعتراف هذه مرتبط تمامًا بعمل المسيح الخلاصي (آ ٩–١٠؛ رج ١ قور ١٢:٣).

وباستشهاد آخر من الكتاب، يعاكس بولس الـ «بر» بالشريعة، أي بالأعمال، ويلحّ من جديد على «البرّ بالإيمان».

باستشهاده هذا يُفهم اليهود أنّهم لا يعرفون الشريعة حقّ المعرفة. فهي واضحة: «كلّ من آمن به لن يخزى» (أش ٢٨:١٦). إذًا الإيمان هو الشرط الأساسي وبعده الأعمال. ويقول «كلّ» – أي دون تفرقة – من يقبل يسوع لن يخزى أبدًا، لن يخيب، لن يهلك، لأنّه وحده الرجاء (آ ١١؛ رج روم ٥:٥).

يشرح بولس ما المقصود بـ «كلّ». الخلاص للجميع. لكلّ من يؤمن بالمسيح. الخلاص غير محصور بالشعب اليهودي فقط، كما يَدَّعون. ويحدّد بدقّة: لا فرق بين اليهودي واليوناني، أي الوثني. الربّ غنيّ، فهو

يعطي من يدعوه، وغناه يوزّع على جميع طالبيه. كرم الربّ شموليّ، خلاص الربّ كوني؛ كلّ الشعوب لها نفس الربّ، يسوع المسيح.

التعبير «الربّ ربّهم جميعًا» كان يطلق قبلاً على الله الآب، والآن على الله الابن، لأن الإيمان حُدِّد بالابن، ابن الله الآب (رج من جديد آ ٩؛ و أع ١٠:٣٦).

ربّهم جميعًا، لأنّه تجسّد ومات وقام من أجلهم جميعًا، حرّرهم من عبوديّة الخطيئة جميعًا. والآن هو يغني بعطاياه جميعهم، جميع الذين يدعونه بإيمان (آ ١٢؛ رج أف ٣:٨).

«يوسع على كلّ من يدعوه»، خاصّة إن دعوه باسمه. والمقصود هنا بالتحديد اسم الربّ يسوع. فبعدما كان «الاسم» في الماضي يشير إلى الإله الآب (رج يؤ ٢:٢٢؛ ٣:٥)، يشير الآن، بعد القيامة، إلى الربّ يسوع المسيح الابن، الذي هو الإله الواحد مع الآب والرُّوح.

في هذه الدعوة يعبّر الداعي عن أنّه «مؤمن»، وعن أنّه يعترف بالمسيح يسوع سيّدًا وإلهًا. فالدعوة ليست دعوة سطحيّة، بل تعني أن الذي يدعو، يدعو الربّ المخلّص كي يخلّصه، وتعني أن الشخص في حاجة ملحّة.

في كلّ مرّة يستدعي بولس نصًّا من العهد القديم، إنّما ليؤكّد بإلحاح أن الطريق الوحيد إلى الخلاص هو «الإيمان»، وهذا ما دعت إليه الشريعة أيضًا، لكنّهم لم يفهموا (رج آ ٢-٣). والإيمان هنا بمناداة يسوع المسيح «الإله» (آ ١٣؛ رج أع ٢:٢١).

يربط بولس بوضوح معرفة الله بالإيمان المستند على هذه المعرفة وبالصلاة التي تنتج عن هذا الإيمان.

الإيمان بيسوع يتطلّب معرفة، والمعرفة تكون نتيجة السماع، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. فبولس يعرف أن الكثيرين لم يسمعوا يسوع مباشرة، لهذا فإنّ المبشّر بيسوع ضرورة ملحّة (آ ١٤).

في الحقيقة، يشعر بولس بمسؤوليّة الرسالة الموكلة إليه من الربّ القائم، وهي بشرى الخلاص وإعلان قيامة الربّ بإيمان.

يعتبر بولس ان التبشير واجب عليه والتزام، لهذا نراه يجول العالَم القديم ويؤسّس الكنائس (رج ١ قور ٩:١٦؛ ٢ قور ٢:١٤؛ ١٠:١٤-١٦؛ قول ١:٢٥-٢٩). انه ممتلئ من روح الرسالة ويعرف انه مرسل من أجل الكرازة وعيش الحقيقة الخلاصيّة بيسوع المسيح وحده (رج ١:١-٥؛ غل ١:١٥-١٦؛ ١ قور ٩:١٦-١٨).

رسالة بولس هي بسلطان من يسوع، وبإرسال مقدّس منه مثل بقيّة التلاميذ (رج متّى ١٠:٤؛ ١٥:٢٤؛ مر ٩:٣٦؛ لو ٤:٤٣؛ يو ٥:٣٦، ٣٨؛ ٦:٢٨، و٥٧؛ إلخ).

بتفسير أكثر دقّة، يريد بولس أن يقول إن البشارة لا يجب أن تُسْمَع إلا من أشخاص مرسلين بسلطة إلهيّة، أي يسوع. هذه السلطة أعطيت للتلاميذ والرسل ومن بعدهم إلى الكنيسة (رج متّى ١٠:٥، ١٦؛ لو ٩:٢؛ ١٠:١). إذًا المبشّرون هم الأشخاص الموكلون رسميًّا من السلطة (اليوم السلطة الكنسيّة) وإلاّ فهم غير شرعيّين.

هذا المفهوم ليس جديدًا، بل هو مهيّأ منذ العهد القديم، لذلك نجد بولس يستشهد من جديد بالكتاب (رج اش ٥٢:٧). مفهوم «الأنبياء المبشّرين» في العهد القديم أصبح في التقاليد المسيحيّة «الرسل المبشّرين» (آ ١٥).

ومع أنّ البشارة موجّهة بشكل أوّلي إلى اليهود (رج روم ١:١٦)، إلاّ أنّ القسم الأكبر منهم رفض ولم يؤمن، لهذا لن يحصلون على الخلاص. هذه ليست المرّة الأولى في تاريخ إسرائيل المتمرّد على كلمة الربّ (رج روم ٩:٢٧-٢٩)، فهم قاوموا تبشير الأنبياء، وما زالوا يقاومون بشارة الرسل (رج روم ١٥:٣١). رغم ذلك يحاول بولس أن يحمل إسرائيل إلى الخلاص، ويذكّرهم بكلام أشعيا النبي: «من الذي آمن بما سمع منّا؟» (اش ٥٣:١).

كلّ ما قاله النبي في أيّامه يتحقّق من جديد في أيّام بولس لكونهم مستمرّين في العداء لكلمة الربّ، إنّهم لا يذعنون، لا يسمعون، لا يفهمون، لا يطيعون (آ ١٦).

لكن بولس لا ييأس، ويصرّ على الكرازة، ويعرف ضرورتها، لأن فقط بالكرازة والمناداة يمكن فتح الآذان والقلوب على الإيمان. يجب أن يسمعوا كي يؤمنوا، ويجب أن يُبَشَّروا بكلام المسيح كي يسمعوا، يجب أن يعرفوا الحقيقة الإلهيّة الموحاة (آ ١٧).

ومع أن بولس يتساءل ويجاوب، لكنّه أكيد و «بلى» ان البشارة وصلت إلى الجميع، «فالسماوات تعلن مجد الربّ في كلّ مكان» (رج مز ١٨:٥)، كلّ المسكونة سمعت البشارة عن يسوع، مثلما سمع الكون البشارة أيّام أشعيا، لكنّهم رغم ذلك رفضوا الإصغاء (آ ١٨)!

ليس من قبيل الصدفة أن يستشهد بولس بكلام العهد القديم باستمرار، وهذه المرّة على لسان موسى، حول غيرة الربّ التي استفزّها إسرائيل الكافر. لهذا فإنّ الربّ سيجعل بدوره إسرائيل يغار من كلّ الشعوب، لأن لا عُذر له في عدم الفهم، طالما فهم البشارة الوثنيّون (رج تث ٣٢:٢١).

اليوم يستعمل الربّ من جديد نفس الأسلوب، حيث سيجعل إسرائيل يغار من توبة الوثنيّين، الذين يعتبرهم إسرائيل أغبياء وغير جديرين أن يُسَمَّوا «أُمَّة» أو «شعب».

الغضب الإلهي في ظروف معيّنة له مفاعيله الإيجابيّة، فهو من أجل التأديب والإصلاح (رج تث ٣١:٢٦+)؛ لهذا، فمثلما عوقب إسرائيل قبلاً من الشعوب «البربريّة» – «ليسوا بأُمّة»، سيعاقب اليوم بإيجاد الوثنيّين يتقدّمون عليهم في الإيمان، ويفهمون «الوحي الإلهي» أكثر من الشعب الإسرائيلي نفسه الذي يدّعي أنّه شعب الله وحده (آ ١٩).

إلى شهادة موسى، يضيف بولس شهادة أشعيا (رج أش ٦٥:١). فشعب إسرائيل لن يغار من الوثنيّين وحسب، بل إن أكثر ما يكرهون هو أن يروا إلههم «يجده» شعوب غير شعبهم مع أنّهم لم يطلبوه، وأكثر من ذلك إن الله أظهر ذاته لهم من غير أن يسألوه. لكن لماذا؟ لأنّهم سمعوا بشارة المبشّرين، وبالتالي وجدوه بعدما سمعوا. الربّ ساعدهم أن يجدوه.

إن كان الله قد عُرِفَ من الوثنيّين، فقد كان من الأولى والأسهل أن يُعْرَف من إسرائيل، إلا أنّه شعب عاصٍ ومتمرّد (آ ٢٠).

نعم، إنّه شعب عاصٍ وعنيد. فرغم أنّ الله قد بسط يديه، ودائمًا، داعيًا إسرائيل إلى التوبة، مقدّمًا له الخلاص، إلا أن إسرائيل يقاومه. لطالما جدّد الله مواعيد حبّه، وفتح ذراعيه ليحتضن إسرائيل، لكن هذا الأخير بقي متمرّداً وعنيداً. منذ بداية تاريخه ينبذ البشارة وأنبياءها، وما زال ينبذ المسيح ورسله.

لهذا، لا عذر لبني إسرائيل. فقد اختاروا طريق الخطأ، وما زالوا يسيرون بها. اختاروا «برّهم» ورفضوا «برّ الله» (آ ٢١).

خلاصة الفصل العاشر من الرسالة هي أن مجيء المسيح وَضَعَ حدًّا لكلّ سوء فهم حول الشريعة. إنّه «حجر العثار» (رج روم ٩:٣٢) الذي تكلّمت عنه النبوءات.

الإيمان بيسوع كـ «ربّ» و«إله» هو السبيل الوحيد للخلاص، الخلاص العالمي الشامل، الذي بشّر به الرسل.

البشارة هي يسوع، العطاء الإلهي المجّاني للجميع.

Voir *L'art de Byzance* (Mazenod) 59.

خلاص إسرائيل بالمسيح وليس بالشريعة

Christ en Buste
(Icône à l'encaustique, VI^e siècle, Couvent Sainte Catherine - Sinaï)

خلاص الأمم
(روم ١١: ١١-٢٤)

الخوري جان عزّام

الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة – غزير

Voir *Nature in our Biblical Heritage*

«وأنت، وقد كنتَ زيتوناً بريّاً، طُعّمت ...،
فصرت شريكَ الأصل في دسم الزيتون» (روم ١١:١٧)

مقدّمة

محور الرسالة إلى أهل روما ان الايمان بيسوع المسيح هو أساس الخلاص لليهود وللوثنيين، كلٌّ من موقعه واختباره الديني السابق (١: ١٦-١٧). فليس لليهود في المسيح أكثر ممّا للوثنيين، حتى لو كان لهم الفضل في الايمان والآباء والوعود التي حملت العالم إلى زمن مجيء المسيح (٩: ٣-٥)؛ واليهود أنفسهم كانوا يحتاجون إلى عمل المسيح الخلاصي بقدر ما كان يحتاجه الوثنيون، لأنهم جميعًا خطئوا وفقدوا الخلاص الإلهي: فهؤلاء لم يتبعوا ضميرهم الطبيعي الذي كان قادرًا ان يقودهم إلى معرفة الله والايمان به (١: ٢٠-٢١)، وأولئك خالفوا الشريعة ونقضوا العهد الذي أعطاهم الله إيّاه فصاروا تحت اللعنة (٢: ١٧-٢٧). هذه هي البشرى الإلهية التي يحملها بولس إلى اليهود والوثنيين معًا، وهي ان المسيح قد مات لأجل خطاياهم وقام لأجل تبريرهم (٤: ٢٤-٢٥)، فمن يؤمن ويعترف بأن المسيح هو الرب، يهوديًّا كان أو وثنيًا ينال الخلاص (٩: ١٠-١٣)، ومن يرفض

الايمان يبقى تحت اللعنة قابعًا في جهل وثنيّته (١: ٢٢-٢٣) أو عاجزًا عن إدراك المسيح بسبب قناع الشريعة المتحكّم به (١١: ٧-١٠؛ رج ٢ قو ٣: ١٤-١٦).

أمّا الموضوع الخاص في الفصل ١١: ١١-٢٤ الذي نحن بصدد الكلام عنه هنا، فهو عظمة تدبير الله الخلاصي الذي استفاد من قساوة قلب اليهود ليفتح الكنيسة على العالم الوثني ويحرّرها من محدودية الشعب اليهودي.

١- رَفْضُ اليهودِ سبيلٌ إلى خلاصِ الأمم (آ ١١-١٥)!

أ- خلفيّة النص وموضوعه الأساسي

إنّ المشكلة الأساسيّة التي واجهتها الكنيسة منذ البداية هي التالية: هل تبقى مجرّد تيار ديني في قلب الديانة اليهودية كما هي حال التيارات الدينية الأخرى، كالفريسية والصادوقية وحزب الغيارى والأسينيين وغيرهم؟ بتعبير آخر، هل المسيح هو أحد الأنبياء اليهود المصلحين الداعين شعب الله إلى التوبة والإصلاح الداخلي من خلال أفكار جديدة وطرق عبادة جديدة، أم انه حقًا مرسل الله إلى العالم أجمع ليقود الشعوب كلّها إلى الخلاص الموعود به؟ وإذا كانت المسيحية ستنفتح على العالم وهي المتجذّرة في الإيمان اليهودي القديم والآباء والأنبياء، وهي التي على مثال مؤسّسها تكمل ولا تنقض، فما يكون مصير اليهود المؤمنين الذين احتقروا الشعوب الوثنية الأخرى لعدم إيمانها؟ هذا السؤال يجيب عليه بولس بنفي قاطع لأن يكون عثار اليهود بمثابة سقطة لا قيام لهم من بعدها! وإنّما الله سيستفيد من زلّتهم ليمنح الخلاص للأمم، وسيُبقي باب الخلاص مفتوحًا لهم أيضًا لكي يعودوا فيؤمنوا بالمسيح ويكون إيمانهم سبيلاً إلى خلاص أشمل!

ب- درس بعض المفردات الأساسيّة

في آ ١١ يستعمل بولس تعبير paraptoma للكلام على زلّة اليهود في عدم إيمانهم بالمسيح. وهذا التعبير كان قد استعمله مرّة أولى في روم ٥: ١٥-١٨ ليصف به زلّة آدم. وفي الفصل الخامس يشدّد بولس كثيرًا على زلّة آدم، وإن أَفْضَتْ إلى دخول الخطيئة والموت إلى العالم، ولكنّها كانت أيضًا المناسبة التي استفاد منها الله ليهب العالم النعمة بيسوع المسيح، «حيث كثرت الخطيئة فاضت النعمة!» (٥: ٢٠). وكما يوضح بولس لاحقًا فليس الله هو الذي أراد زلّة آدم (٦: ١)، بل انه القادر أن يحوّل الزلّة لدى البعض إلى نعمة لدى الآخرين، بل لدى الخاطئ نفسه ان هو استقبل النعمة.

هذا هو حال إسرائيل، فإن زلّته لا تعني بالضرورة نهايته، بل هي مثل زلّة آدم يستطيع الله أن يقيمه منها! ولا هي قادرة أن توقف عمل الله، بل سيستعملها الله ليفيض النعمة على الشعوب الوثنية وعلى اليهود أنفسهم عند رجوعهم إليه. أمّا سبيل رجوع اليهود إلى الله فسيصير من خلال «إثارة غيرتهم» التي يعبّر عنها بولس بفعل parazelomi، وذلك تلميحًا إلى نص من سفر التثنية ٣٢:٢١ يُفهم منه ان الله يريد أن يساعد إسرائيل على فهم واقع خطيئته وتمرّده من خلال دعوة أمّة وثنية للإيمان به، فيفهم إسرائيل خطيئته ويقبل التوبة! هذا إذًا هو رجاء بولس أن يفهم إسرائيل عصيانه لله بعدم إيمانه بالمسيح، عندما يرى أنّه هو الذي خسر بعدم إيمانه، بينما العالم الذي كان يحتقره ويعتبره جاهلاً للإيمان، قد اغتنى بالإيمان، وانه هو الذي نقص وانحسر، والعالم قد ربح! هنا يستعمل بولس تعبير hettima الذي لا يعني بالضرورة النقصان العددي بل الفشل، أي عدم الوصول إلى الغاية المنشودة، ويستعمل بالمقابل تعبير pleroma (الاكتمال) الذي لا يصير إلاّ بالإيمان بالمسيح. اعتقد ان تعبير الاكتمال هنا يوازي «شالوم» بالعبرية التي هي غاية الإيمان اليهودي نفسه. وكأن بولس يقول ان «الشالوم» الذي يرغبه اليهودي ويسعى إليه طيلة حياته سيناله في المسيح، وبدونه سيبقى في النقصان. في آ ١٥ يعود بولس إلى صورة جديدة ليصف فيها واقع عدم إيمان اليهود، فيعتبره «إبعادًا»، بينما يصف إيمان الوثنيّين «بالمصالحة». هكذا، فابتعاد اليهود سمح للوثنيّين بالعودة إلى حظيرة الله، بينما عودة اليهود إلى الإيمان لاحقًا ستكون بمثابة zoè ek nekron، أي قيامة جسديّة من بين الأموات. لا أعتقد أن بولس يريد أن يربط بين اهتداء اليهود مجدّدًا إلى المسيح وبين نهاية العالم وقيامة الموتى، وهذا تفسير غير دقيق للنص. وأعتقد مع كثير من المفسّرين أن بولس يعتبر ابتعاد اليهود من الإيمان المسيحي بمثابة «سبي»، وهذا هو المقصود بتعبير apobolé autôn (إبعادهم). والمعروف ان حزقيال قد صوّر السبي بمثابة موت كامل لشعب الله، ولكنّه يصف عودتهم إلى أرض الميعاد بمثابة قيامة من الأموات (حز ٣٧).

٢- خلاص الأمم عطيّة مجانيّة، لا للكبرياء بل لمخافة الله (آ ١٦-٢٢)

أ- خلفيّة النص وموضوعه الأساسي

ليس اليهود وحدهم المتعصّبين لقوميّتهم، وليسوا وحدهم الذين أساؤوا فهم لاهوت الاختيار المجّاني. فقد وقعوا في الاستكبار بسبب اختيار الله لهم لخدمة الشهادة له بين الأمم على انّه الله الأوحد (أش ٤٣: ١٠-١٢؛ ٤٤: ٨) ولدعوة الأمم إلى الإيمان، وحوّلوا الاختيار المجّاني للخدمة إلى سبيل لاحتقار الأمم والابتعاد عنها! ولكن الأمم بدورها قد تقع في مثل هذا الاستكبار عندما يصلها نور المسيح وتعطى كلمة البشارة مجانًا، وبدلاً من شكر الله على هذه العطيّة المجّانية التي نقلتهم من ظلام الخطيئة إلى نور الإيمان، وبدلاً من مخافة الله الذي لا محاباة للوجوه عنده، فإن المؤمنين من أصل وثني قد يقعون هم أيضًا في نوع من احتقار وازدراء لليهود بسبب عدم إيمانهم. فهم أيضًا قد يقعون في التعصّب والمعاداة لشعب آخر، مستغلّين رحمة الله لهم مناسبة ليفقدوا الرحمة تجاه قريبهم. فلاهوت المسيحيّة الأساسي هو ما فعله المسيح في صليبه، أي انه صالح الإنسان مع الله وصالح الإنسان مع أخيه الإنسان؛ وليست المسيحيّة دعوة إلى عداوة شعب آخر أو أمّة أُخرى أو عنصر بشري آخر؛ وليست المسيحيّة ازدراء للآخرين أو اتهامًا لهم أو انتقامًا منهم لخطايا ارتكبوها! إنّها إعلان مصالحة تامّة ودعوة للجميع إلى السلام، أي الاكتمال والملء في المسيح يسوع. وبهذا المعنى يقول بولس إلى أهل أفسس، وهم من أصل وثني: «أذكروا أنّكم بالأمس، أنتم الوثنيّين بالجسد، أنتم الذين كان أهل الختان يسمّونهم أهل القلف، لأن جسدهم ختن بفعل الأيدي، اذكروا أنّكم كنتم حينئذٍ من دون المسيح، مفصولين عن رعيّة إسرائيل، غرباء عن عهود الموعد، ليس لكم رجاء ولا إله في هذا العالم، أمّا الآن ففي المسيح يسوع أنتم الذين كانوا بالأمس أباعد قد صرتم أقارب بدم المسيح، فإنّه سلامنا قد جعل من الجماعتين جماعة واحدة، وهدم في جسده الحاجز الذي يفصل بينهما، أي العداوة... بعدما أحلّ السلام بينهما... ويصلح بينهما وبين الله، فجعلها جسدًا واحدًا بالصليب وبه قضى على العداوة...» (أف ٢: ١١-١٨).

إذًا، فإن كان اليهود قد رفضوا صليب المسيح وتشكّكوا منه لأنّه دعاهم إلى المصالحة مع الوثنيّين، فالمسيحيّون من أصل وثني يبطلون صليب المسيح الذي به نالوا الخلاص ان هم استعملوه كوسيلة عداوة واستكبار.

ب- دراسة بعض المفردات الأساسيّة

عندنا في آ ١٦ كلمة aporkhy (الباكورة)، وكلمة hriza (الأصل)، وكلّ واحدة تتحكّم بصورة: فالأولى هي صورة العجنة التي تختمر من خميرة الباكورة المقدّسة، والثانية هي صورة الفروع التي تتغذّى وتنمو من خلال الأصل المقدّس.

وفي الحالتين يطرح السؤال عمّن يعنيه بولس هنا في الباكورة والأصل؛ فهل يقصد الشعب المختار كلّه، حتى الذين لم يؤمنوا بالمسيح؟ لا شكّ ان لبولس حبّاً خاصاً لتاريخ شعب الله وقداسة عمل الله فيه ومن خلاله: فمن لا يذكر الآباء والقدّيسين والأنبياء وشهداء الإيمان؟ وهذه القداسة ما برحت فاعلة في هذا الشعب بالرغم من عدم إيمانه، ولعلّها تصبح هي سبيلاً إلى اهتدائه يومًا إلى القداسة الكاملة بالمسيح. غير انّي أرجح أن يكون المقصود أيضًا وبالأخص أولئك اليهود الذين آمنوا بالمسيح وصاروا يشاركون في قداسة المسيح (روم ٧: ١). ولعلّ قداسة هؤلاء المكتملة بالإيمان تصبح في ما بعد سبيلاً إلى قداسة الذين لم يؤمنوا، وبهم يهتدي كلّ الشعب المختار إلى المسيح.

في مطلق الأحوال، فالصورة هنا تفتح بابًا للرجاء بانضمام اليهود إلى الإيمان المسيحي، ان بالارتكاز على قداسة آبائهم الأقدمين التي هي الخميرة والأصل، أو بالارتكاز على مثل القلة من اخوتهم، مثل بولس، الذين آمنوا وصاروا شهودًا على ان اكتمال كلّ قداسة هو بالمسيح فقط.

في آ ١٧، يهمل بولس صورة الباكورة ويركّز على صورة الشجرة أصلاً وفروعًا، مؤكّدًا أن المسيحيّة قد وجدت على الأصل الذي هو التاريخ الخلاصي وإيمان الآباء والأنبياء والذي اكتمل بالإيمان في المسيح يسوع.

فليست المسيحيّة إذًا من الوثنيّة ولا من أي أصل آخر سوى تاريخ الخلاص الذي عاشه الشعب المختار، ولأنّها كذلك فهي تكمل من جهة بفروع طبيعيّة، أي اليهود الذين آمنوا بالمسيح، ومن جهة أُخرى بفروع برّية مُطَعَّمة على الأصل، أي الوثنيّين الذين آمنوا: إنّها شجرة جديدة، وهي إسرائيل الله

الحقيقي الذي يكمل التاريخ الخلاصي. فيها قطعت الفروع التي لم يؤمن بالمسيح، وفيها زرعت فروع بريّة وأثمرت لأنّها ارتبطت بالإيمان بالمسيح (رج يو ١٥): إذًا فالإيمان بالمسيح هو من الآن وصاعدًا الميزة التي تميّز شعب الله الجديد، ان كان من أصل يهودي أو من أصل وثني. والإيمان بالمسيح هو الذي يبقي الفروع يانعة ومثمرة، لأنّها تغتذي من الأصل الواحد الذي هو يسوع المسيح، قمّة التاريخ الخلاصي، وأكمل كلمة إلهيّة كلّم بها الله العالم، وهو الذي جسّد في شخصه كلّ الإيمان الذي ظهر في تاريخ الآباء والأنبياء وهو الذي يحقّق بشخصه كلّ الوعود لينالها مجّانًا كلّ إنسان مؤمن به.

ينهي بولس هذا المقطع بالآيات ٢٣-٢٤ مؤكّدًا ان خلاص إسرائيل والشعب القديم ممكن وأكيد ان هو آمن بالمسيح، لا بل يعتبر ان اهتداءهم إلى المسيح أسهل من اهتداء الأمم، لأنّ هؤلاء إنّما طُعّموا خلافًا للطبيعة، فكم بالأحرى من سيُطعّمون بحسب الطبيعة؟!

خلاصة

هناك خدعة كبيرة يحاربها بولس الرسول في تبشيره وفي رسائله عامّة وفي رسالة روما بشكل خاص: هذه الخدعة هي عند الذين يرتكزون على انتمائهم القومي ليعادوا، باسم الله، الشعوب الأُخرى. أوّل من وقع في هذا الفخ هم أكثريّة الشعب اليهودي عندما نسوا أن الله اختار إسرائيل ليكون خادمًا بإيمانه في سبيل إيمان الشعوب كافة. وهذا المنطق القومي اليهودي كان السبب في ابتعاد إسرائيل عن الأمم وحتى عن أبنائه الذين اختلطوا بالأمم! صار إسرائيل وكأنّه أهمّ من الآخرين وأعظم منهم، مع ان الله هو الذي وهبه الإيمان والآباء والأنبياء، وهو الذي حوّله من مجموعة عبيد إلى شعب مؤمن! هذا التيار القومي اليهودي المتعصّب يمكن الردّ عليه بتعصّب مماثل من قبل المسيحيّين من أصل وثني، فيقابلون الكبرياء بالكبرياء والقوميّة بقوميّة مضادة والعنصريّة بعنصريّة مضادة! وهذا ما يحذّر منه بولس المؤمنين من أصل وثني داعيًا اياهم إلى مخافة الله وعدم إبطال صليب المسيح الذي، ان كانوا يؤمنون به، فيجب أن يحرّرهم من كلّ حواجز العداوة المبنيّة على العنصريّة والقوميّة وغيرها! اليوم أيضًا هناك تياران واضحان يحاربان المسيحيّة ويحاولان عن جهل أو معرفة إبطال صليب المسيح:

- التيار الأوّل يمثّله أولئك الذين يستعملون الفصل ٩-١١ من رسالة بولس إلى أهل روما، وبحجة الحوار مع اليهود، ليدّعوا ان مواعيد الله لاسرائيل ما زالت هي هي، وان المسيحيّة ليست سوى جزء من التاريخ اليهودي الذي هو الأساس والذي هو المرجعيّة الأولى. فكأن المسيح لم يحقّق وعود الآباء والأنبياء، وكأن المسيح هو الجزء وليس الكلّ! حتى ان بعضهم وصل إلى درجة اعتبار الإنجيل مجرّد تفسير (مدراش) للعهد القديم، كباقي التفاسير اليهوديّة الأُخرى التي سبقته والتي تبعته!!!
- أمّا التيار الثاني، فينفي باسم محاربة الصهيونيّة والتعصّب اليهودي كلّ أعمال الله الخلاصيّة في التاريخ، في العهد القديم وفي حياة الآباء والأنبياء والقدّيسين الذين أوصلوا الإيمان، وان ناقصًا، إلى المسيح الذي أعطانا الإيمان الكامل! انّهم يريدون أن يقطعوا المسيحيّة من جذورها لتصبح مجرّد فكرة فلسفيّة أو تعاليم أخلاقيّة مثاليّة عن المحبّة.

إن المسيحيّة بريئة من هؤلاء ومن أولئك! بالنسبة إلينا، المسيحيّة تبدأ منذ الفصل الأوّل من سفر التكوين، وتاريخها هو تاريخ شعب الله حتى المسيح، ومنه حتى يومنا هذا. المسيحيّة هي إسرائيل الله الحقيقي، إسرائيل الإيمان، وان كان إسرائيل الجسد ما زال موجودًا، فنحن نرجو من الله أن يقوده إلى كمال الإيمان، ولكنّنا نعتبر مع مار بولس انه ما زال مقطوعًا عن الشجرة الحقيقيّة، أي الكنيسة، وهو بحاجة إلى أن يُطَعَّم فيها من جديد لكي يثمر!

بالنسبة إلينا، ليست المسيحيّة قوميّة ولا عنصريّة ولا عداوة لأي إنسان بسبب انتمائه، بل هي كصليب المسيح منفتحة الذراعين لتضمّ بالمحبّة كلّ الشعوب، ولتصلّي إلى الله ليعطي الحياة بالمسيح إلى كلّ الشعوب. فحذار «أن نبطل صليب المسيح»!

المراجع:

VIARD A., *Saint Paul, épître aux Romains* (Sources bibliques, Paris, 1975).
LYONNET S., *Etudes sur l'épître aux Romains* (Analecta biblica 120, Roma, 1989).
SAN GIOVANNI CRISOSTOMO, *Commento alla lettura di San Paolo ai Romani*, II (Siena, 1971).

الحياة الجديدة مع المسيح
(روم ١٢: ١-٨)

ماري عطاللّه خليفة

مقدّمة

يسمّي الشرّاح الرسالة إلى الرومانيّين «وصيّة بولس». لم تكن الغاية منها رسوليّة ولا جدليّة، ولا دفاعيّة، بل مجرّد عرض لتعليم بولس وفق الانجيل الذي بشّر به، فأتت دراسة لاهوتيّة عن دور الانجيل الخلاصي والحياة الجديدة مع المسيح.

تقسم الرسالة إلى قسمين كبيرين، الأوّل لاهوتي تعليمي (١-١١)، يعرض فيه بولس الانجيل كقوّة خلاص لكلّ مؤمن وبدونه الشقاء؛ والثاني أدبي عملي (١٢-١٦)، ينتقل الرسول، كما في أكثر رسائله، إلى الارشاد والتحريض، مكثراً أفعال الأمر والطلب والتحريض والتمنّى والدعاء، محاوراً الجماعة في صورة المخاطب الجمع والمفرد.

نص روم ١٢: ١-٨ : يفتتح القسم الثاني من الرسالة، القسم الأدبي العملي، حيث يوجّه بولس إرشادات عامّة لكلّ مؤمن حول الحياة الجديدة مع المسيح. وهذا النص يقسم بدوره إلى ثلاثة مقاطع:

الأوّل : ١٢: ١-٢ وهو مقدّمة للنص مباشرة، وللقسم الثاني عامّة.

الثاني : ١٢: ٣ يتكلّم على الادّعاء أو الافراط في اعتبار الذات.

الثالث : ١٢: ٤-٨ يبيّن أهميّة كلّ الأعضاء وضرورتها في جسد المسيح الواحد.

المقطع الأوّل: ١٢: ١-٢

العبادة الروحيّة

المقطع الأوّل ١٢: ١-٢ يحدّد كيفيّة ظهور الحياة الجديدة في العبادة الروحيّة. فلقد كان الهيكل أقدس مكان للعبادة. حلّ محلّه جسد يسوع الروحاني القائم من الموت، فصار المكان الجديد الأوحد لحضور اللّه ولعبادته بالحق. وبما أنّ المؤمنين بالمسيح هم أعضاء حيّة في جسده السري (١قور ٦: ١٥-٢٠)، يسكن فيهم روح اللّه بنوع جديد (١قور ٣: ١٦-١٧)، حلّت الجماعة المسيحيّة محلّ الهيكل أيضاً، فصارت مكان العبادة الروحيّة الحقيقيّة الجديدة.

ربط قسمَيّ الرسالة

هذا المقطع يربط القسم الثاني من الرسالة بالقسم الأوّل؛ فأداة الجواب «إذاً» في مستهلّ الآية الأولى يجعل هذا المقطع نتيجة طبيعيّة لما قبله ويقدّم السبب الموجّه للفصلين ١٢ و١٣. فالتصرّف الأخلاقي الذي يبدأ مع الأداة «إذاً» هو نتيجة للتعليم العقائدي الأساسي الذي يعطيه بولس للمسيحيّين في الفصول ١-٨. و«مراحم اللّه» التي يذكرها الرسول في ١٢: ١ تعود بنا إلى رحمة اللّه التي تكلّم عليها في بداية الرسالة، وخاصّة في الفصول ٩-١١، فيأتي تصرّف الانسان بتقديم ذاته جواباً على رحمة اللّه وعرفاناً بالجميل. و«تجديد العقل» في ١٢: ٢ يذكّر بـ «جدّة الحياة» في ٦: ٤ التي هي ثمرة الموت والقيامة العماديّة، وبـ «جدّة الروح» في ٧: ٦ التي تحوّل الانسان داخليّاً بفعل الروح القدس.

الذبيحة الحقيقيّة

يبدأ بولس في ١٢: ١ بعبارة «أطلب إليكم»، وهذا الفعل باليونانيّة يتضمّن معنى الترجّي والتعزية والتشجيع، والرسول يقصد هذه المعاني لا الأمر، فهو يتوجّه إلى «إخوة» يربطه بهم الايمان

نفسه بنعمة الآب التي هي وحدها الخلاص للمؤمنين، وهي صوت يشجّع على طاعة اللّه في الأمور الحياتيّة.

أوّل طلب لبولس هو تقديم الأجساد «ذبيحة حيّة مقدّسة»؛ وهو لا يعني الجسد بخلاف الروح إنّما الانسان بكليته، الانسان العامل في جسده وبواسطته، كونه المركز الضروري لوجوده وعمله، ولعلاقته باللّه وبالانسان والعالم. الذبيحة معروفة عند كلّ الأديان القديمة، لكن مع العهد الجديد أصبحت حقيقة جديدة واتّخذت معنىً جديداً؛ فالوثنيّون يعتبرون الذبيحة وسيلة لإخماد غضب الآلهة، أمّا مع العهد الجديد فرحمة اللّه تسبق كلّ شيء، لذا أصبحت الذبيحة فعل شكر للّه. ومادة الذبيحة أيضاً أصبحت جديدة، فلم يعد تقديم بعض الممتلكات والذبائح هو المطلوب، إنّما تقديم الذات وكلّ الذات. وذلك بوضع حياتنا في خدمة اللّه، وهذه هي الذبيحة الحقيقيّة التي يحبّها اللّه والمرضيّة لديه. يستعمل بولس عبارات ليتورجيّة: «تقرّبوا»، «ذبيحة»، «عبادة»، ليقول لنا بأنّ الحياة المسيحيّة لا تنفي العبادة اللّيتورجيّة في الكنيسة. لكن حتى تكون هذه العبادة حقيقيّة بدون رياء يجب أن تطابقها حياة المسيحي. يتفق بولس تماماً مع يسوع الذي يقول لنا بأنّنا لا نستطيع تقديم الذبيحة على المذبح إذا لم نكن في سلام مع أخينا (متّى ٥:٢٣ي).

المقطع الثاني: ١٢:٣

الادّعاء أو الافراط في اعتبار الذات

في المقطع الثاني (١٢:٣) يبدأ بولس حملته على رذيلة الادّعاء أو الافراط في اعتبار الذات التي كانت تهدّد الجماعات المسيحيّة الناشئة (١قور ١٢–١٤)، ويدعو إلى التواضع والاتّزان والخدمة، وينصح باعتدال رصين، متوجّهاً إلى كلّ فرد من الجماعة (١٢:٣). هذا ما جعلنا نعتقد أنّه، في روما كما في قورنتس، يعطون أهميّة كبرى للمواهب الفائقة، بحيث أنّ مَن له هذه المواهب يعتدّ بنفسه ويتعالى على غيره ويأنف القيام بالأشياء الوضيعة. طبعاً بولس لا يريد إطفاء مواهب الروح (١ تس ٥:١٩)، لكنّه ينصح بالاعتدال والرصانة. المقياس الصحيح ينبع من تمالك النفس والخير العام؛ مقياس ثانٍ هو الايمان الذي يعطيه اللّه لكلّ واحد (أف ٤:٧). مقياس الايمان يجب أن يكون أساس حياة لكلّ إنسان، على قدر إيمانه تكون رسالته، يمارسها بروح تواضع عميق دائم، هذا الايمان يختلف من مؤمن لآخر بحسب اختلاف نموّه. كلّ إنسان حصل على موهبته، وهي عطاء غني جدّاً لأنّ اللّه هو غنيّ تجاه الجميع (١٠:١٢)، لكنّ المواهب مختلفة كثيراً بطبيعتها وأهميّتها، يوزّعها اللّه متنوّعة على المؤمنين في الجماعة ليحياها وينمّيها. نعمة كل إنسان هي حريته، لكن أيضاً مسؤوليّته أمام اللّه الموزّع، فالمسؤوليّة هي مسؤوليّة كلّ فرد وليس فقط الجماعة.

المقطع الثالث: ١٢:٤–٨

صورة الأعضاء في الجسد الواحد

وفي المقطع الثالث، وانطلاقاً من هذه المواهب المتعدّدة، يشبه بولس الجماعة الواحدة بالجسد الواحد المتعدّد الأعضاء، والموحِّد هو المسيح (١٢:٤–٥). فكما أنّ الأعضاء المختلفة تؤلّف وحدة متكاملة في الجسد، كذلك المؤمنون العديدون يؤلّفون مجتمعين الكنيسة الواحدة. صورة الجسد هذه كانت مستعملة كثيراً في العصور اليونانيّة – الرومانيّة القديمة، وقد استعملها بولس في ١قور ١٢:١٢–٢٧؛ قول ١:١٨–٢٤؛ أف ١:٢٣؛ ٤:١٦؛ ٥:٢٣، حيث يوسّع ويعمّق عقيدة الكنيسة جسد المسيح. الجميع أعضاء في هذا الجسد الذي حياته وروحه المسيح. بالكنيسة يسوع حاضر في الزمان وفي العالم. بصورة الجسد هذه يُظهر يسوع بولس بطريقة حسيّة أنّ كلّ عضو في الكنيسة له موهبته ورسالته، ولكن الجميع يؤلّفون وحدة متكاملة، كلّ واحد هو مع الجميع وفي خدمة الجميع. من هنا نجد بُعدين في صورة الجسد هذه، بُعداً مسيحيّاً ناتجاً عن علاقتنا بالمسيح، «نحن الكثيرون جسد واحد في المسيح» (١٢:٥أ)، وبعداً كنسيّاً ناتجاً عن علاقتنا ببعضنا، «كلّ واحد منّا عضو للآخر» (١٢:٥ب). ونلاحظ هنا أنّ بولس انتقل من صيغة المخاطب الجمع التي كلّم بها مسيحيّي روما، إلى صيغة المتكلّم الجمع، لأن ما ينطبق على كنيسة روما هو لكلّ الكنيسة، لأنّ كنيسة روما هي جزء من الكنيسة ككلّ (١٣:١١–١٣).

المواهب المختلفة

العقيدة المنبثقة من صورة الجسد والأعضاء يطبّقها بولس على واقع الكنيسة المحلية وفق المواهب المعطاة لها. فيعدّد، كما في ١ قور ٢:٨–١١، سبع مواهب عاملة في الكنيسة (١٢:٦–٨). وتؤلّف كلّها غنى وملء الكنيسة الواحدة.

يبدأ بولس بالنبوءة، وهي، حسب العهدين القديم والجديد، تعني إعلان كلمة اللّه في الجماعة للحكم أو الارشاد أو التعزية أو الشفاء. النبي هو مدعو من الروح والناطق بلسانه. والخوف ألاّ يتبع حقيقة وحيه، ويتحمّس أكثر من اللاّزم، ويتطرق إلى مواضيع خارج حدود مقياس إيمانه (١٢:٦). لذا على النبي أن يبقى في حدود دعوته التي تعرف جدّيتها بالخدمة المقدّمة إلى الجماعة؛ وإذا سبّبت البلبلة، فهذا يعني أنّه يفرط في استعمال موهبته (١ قور ١٤:٢٩).

ثمّ ينتقل إلى الخدمة والتعليم (١٢:١٧)؛ فالذي يؤمّن الخدمة، إن بالكلمة أو بالمساعدة الأخويّة (١٥:٢٥، ٣١؛ ٢ قور ٨:٤) يجب أن يقوم بها حسب دعوته ورسالته، وربما يقصد بالخدمة بعض الخدمات الوضيعة لسدّ الحاجات العمليّة لبعض المؤمنين المحتاجين. ويُطبّق على التعليم ما قيل على الخدمة. كان المعلّم صورة مألوفة في الكنيسة يمارس تعليم العقيدة وتعميق إيمان المعمّدين الجدد، ويكون مُلِمّاً بالكتاب المقدّس ليظهر استمراريّة الوحي من كلمة اللّه الموجود في العهد القديم إلى حدث يسوع المسيح الكلمة المتجسّد.

أخيراً في ١٢:٨ يذكر أربع مواهب متتالية، فيذكر كهبة خاصّة التعزية أي التحريض على عمل الخير؛ والمستفيد من هذه الموهبة عليه أن يعرف كيف يفيد الآخرين. كذلك المعطي – ربّما نفكّر بأعمال البرّ الرسميّة التي كانت في الكنيسة – يجب أن يعطي ببساطة دون حسابات، مفكّراً فقط بحاجة الآخر ووجوب مساعدته. والرئيس عليه أن يقوم بعمله بتفانٍ وحماس. ويبدو أنّ العهد الجديد عرف بعضاً من هؤلاء المترئّسين غير المتحمّسين (١بط ٥:٢). والراحم عليه أن يمارس الرحمة بفرح. هنا أيضاً لا يقصد عمل الخير الخاص – يبقى صحيحاً أنّ اللّه يحب المعطي بفرح (٢ قور ٩:٧) – بل الجمعيّات الرسميّة لإعانة الفقراء والمرضى. فالذي يقوم بهذه المهمّة عليه أن يتمّمها بمحبّة وفرح لا ببرودة ولا مبالاة. في العالم المهنة هي علامة سلطة، أمّا في الكنيسة فهي دعوة إلى الخدمة. كلّ هذه المواهب يجب أن تنفّذ بروح المعلم (مر ١٠:٤٣–٤٤).

خاتمة

المؤمنون هم جسد واحد في المسيح، وكلّ واحد يكمّل الآخر كالأعضاء في جسم الانسان. من هنا ضرورة المحافظة على الموهبة الخاصّة بتناغم مع مواهب سائر أعضاء الكنيسة. وأخيراً أختم بهذا القول لِهيرُوكْلِيس (Hiéroclès): «وحده، يعرف أن يمجّد اللّه من لا يخلط القِيَم، ويقدّم ذاته على المذبح، ويحوّل نفسه أيقونة إلهيّة، ويجعل من نفسه هيكلاً مستعدّاً لاستقبال نور اللّه...، لأنّ اللّه لا يملك إلاّ النفس الطاهرة مكاناً حميماً».

المراجع:

الفغالي الخوري بولس، **الانجيل قدرة اللّه – الرسالة إلى الرومانيّين** (محطّات كتابيّة ١، الرابطة الكتابيّة، ١٩٩٥).

الكتاب المقدّس، العهد الجديد (كليّة اللاّهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس– الكسليك، لبنان ١٩٩٢).

BARBAGLIO Giuseppe, *Le lettere di Paolo* (Borla, 1980).

BECKER Jürgen, *Paul, l'apôtre des nations* (Médiaspaul, Cerf, 1955).

Bible de Jérusalem (Cerf, 1981).

CERFAUX L., *L'itinéraire spirituel de Saint Paul* (Lire la Bible 4, Cerf, 1968).

HOLZNER J., *Paul de Tarse* (Alsitia, Paris, 1950).

LEMONON Jean-Pierre, *Les épîtres de Paul,* II, *Romains-Galates* (commentaires, Bayard, éd. Centurion, 1966).

MONLOUBOU Louis, *Saint Paul et la prière* (Lectio Divina 110, Cerf, 1982).

PERROT Charles, *L'épître aux Romains,* (Cahiers Evangile 65, Cerf, 1988).

SCHELKLE Karl Hermann, *Méditations sur l'épître aux Romains* (Parole de vie, Mame 1966).

TOB, Nouveau Testament (Cerf, Les Bergers et les Mages, Paris,1979).

توجيهات بولس إلى الرومانيّين
مشروع حياة (روم ١٢: ٩-٢١)

أ. لويس الخوند

المقدمة

يقسم الرسول رسالته قسمين واضحين: قسم لاهوتيّ تعليميّ (١-١١)، موضوعه تبرير الله الخلاصي بالمسيح، يطرح مسائل لاهوتية تتعلّق بجوهر الإيمان المسيحي، في حياة من أصبحوا «خليقة جديدة»؛ وقسم أدبيّ عمليّ (١٢-١٥) يظهر فيه اهتمام الرسول الفائق بالجماعة.

في هذا القسم الثاني نصائح وإرشادات عملية في شأن الحياة المسيحية: إرشادات عامة لكلّ مؤمن (١٢-١٣)، وإرشادات خاصة لكنيسة روما (١٤-١٥). كلّ المزايا التي يحثّ عليها الرسول، تشكّل جوابًا إنسانيًا عمليًا على ما حقّقه الله من أجل الانسان في المسيح.

فالحياة المسيحية الحقة هي حياة جديدة مع المسيح، وهذه الحياة المسيحية لها قواعدها. هذه القواعد يعرضها بولس في ١٢: ٩-٢١. سنحاول عرضها وشرحها وتطبيقها.

Voir Gianfranco Ravasi,
La Bibbia per la famiglia, NT,
(San Paolo, Milano 1999) 17.

تنبع قواعد الحياة الجديدة من تعليم الربّ يسوع ووصاياه، ومن عمل الروح القدس الذي يملأنا من مواهبه (كاتدرائيّة أُوپِسَالا–Uppsala، السويد)

آ ٩: «إجعلوا المحبة بلا رياء (صادقة)، مجانبين الشرّ، ملازمين الخير»

في نصوص عدّة، يلحّ بولس الرسول على أهمية الأعمال الصالحة والطاعة لشريعة المحبة، لأن الله يجازي كلّ واحد بأعماله (٢: ٥-٦ و١٢-٢٧؛ ٤: ١٠-١٢). المحبّة تغذي الفضائل الإلهية (١٦:١؛ ٥: ٢). هي وحدها الباقية، يوم يمنح الله مختاريه كل ما وعد به الذين يحبّونه (٨: ٢٨). السلوك في طريق الخلاص، بالأعمال الصالحة، دعوة ملازمة للمؤمن، وعطيّة مجّانيّة من الله (٣: ٢٤ و٢٨). فعليه أن يحقّق ما سبق الله فأعدّ له من خير.

ففي آ ٩ تركيز على أهمية مبدأ المحبة. وهذا المبدأ مضمون في ما يتبع من النصائح: ففيها كلّها يركّز بولس على مبدأ المحبّة. وقرار حكم الضمير يذكّر بالخير الذي يجب أن يمارس في جميع الحالات: لا يُسمح إطلاقًا أن يُصنع الشرُّ لينتج منه الخير. «إن كنت من أجل طعام تحزن أخاك، فلست بسالك بعدُ وِفقَ المحبّة» (١٤: ١٥). «كلّ شيء طاهر، إنما ينقلب شرًّا على الانسان الذي يأكل ويكون بأكله عثرة» (١٤: ٢٠): تفرض المحبة الأخوية المسيحية على «القويّ» في الجماعة أن يتخلّى أحيانًا عن استعمال حقّه (١٤: ٦) تحاشيًا للعثرة، وحفاظًا على

أخيه. على الانسان أن يعمل دائمًا بمبدأ الخير. هكذا يجب أن تكون المحبة الأخوية المتبادلة بين المسيحيين المدعوّين إخوة (١٠:١٢). وعلينا أيضًا أن نجابه عقليات «من هذا العالم». وهي تنفذ إلينا إذا لم نكن متيقّظين (١١:١٣)، من مثل الاعتداد بالمحسوس وبالرخاء كمقياسين للحق والخير[١]. لا بدّ لنا، في مسيرتنا مع المسيح، من أن نسلك «خطّ سير الى توبة صادقة بـ...طلب الخير الذي تعبّر عنه القيم الأخلاقية التي تضمّنتها الشريعة الطبيعية ويثبّتها الإنجيل»[٢]. وبما أن الانسان دخل المعركة ضدّ قوى الظلام، «عليه أن يحارب دون هوادة ليتمسّك بالخير»[٣].

آ ١٠: «متحابّين حبًّا أخويًا، مبادرين بعضكم بعضًا بالإكرام»

هذه القاعدة الأخلاقية عند بولس هي صدى لوصيّة المسيح الجديدة لتلاميذه على عشاء الوداع: «وصية جديدة أعطيكم: تحابّوا! تحابّوا حبّي لكم» (يو ١٣:٣٤). من المحبّة الإلهيّة الثالوثية، الآب (٥:٨؛ ٨:٣٢-٣٩)، والابن (٨:٣٥ و٣٧ و٣٩)، والروح القدس (٥:٥؛ ١٥:٣٠)، تنبع الاخوّة فينا، وهي وصيّة الرّب المميّزة، ووصيّة الرسل الأوّلين (١٣:٨). وفي ١٤:١-١٥:١٣، الموضوع هو التعايش الأخوي بين المؤمنين «الأقوياء» (من أصل وثني متحرّر) و«الضعفاء» (من أصل يهودي محافظ)، في قلب الجماعة الرومانية الواحدة، حيث خطر الوثنية كان يهدّد المؤمنين «الضعفاء»؛ حلّ الرسول هو أن يقبل المؤمنون بعضهم بعضًا (١٤:١؛ ١٥:٧)، لأن الله قبلهم جميعًا (١٤:٣)، فيتصرّف كلٌّ وفق ضميره (١٤:٥-٦)، باحترام متبادل ومحبة (١٤:١ و١٥ و١٩-٢١؛ ١٥:١-١٣). فـ«القوي» و«الضعيف» علاقتهما المتبادلة حبّ واحترام (١٤:٤). يثبت بولس مبدأ الحرية المسيحية (رج ٦:١٥)، التي قد يُسيء «الأقوياء» استعمالها بتصرّف أنانيّ غير مسؤول، لا يراعي المحبّة الأخويّة، فيقلبون «الصلاح تجديفًا» (١٤:١٦).

تحرص الكنيسة على تعزيز الوحدة والمحبة بين الناس أو بين الشعوب: لا نستطيع أن ندعو الله، أبا الجميع، إذا رفضنا أن نسلك أخويًا تجاه بعض الناس، المخلوقين على صورة الله. فعلاقة الانسان بالله الآب وعلاقته بإخوته البشر مرتبطتان.

في كلامه عن علاقة «الكهنة والعلمانيين»، في القرار «في حياة الكهنة وخدمتهم الراعوية»، يقول المجمع الفاتيكاني الثاني: «قد وُضع الكهنة بين العلمانيين كي يقودوهم الى الوحدة في المحبة، «محبّين بعضكم بعضًا حبًا أخويًا، مبادرين بعضكم بعضًا بالأكرام (روم ١٢:١٠)»»[٤].

وفي «الحياة المشتركة»، في القرار «في تجديد الحياة الرهبانية»، يقول المجمع المذكور: «ليبادر الرهبان، أعضاء المسيح، بعضهم بعضًا بالإكرام في حياتهم الأخوية (روم ١٢:١٠)، حاملين بعضهم أثقال بعض. وبما أن محبة الله قد أُفيضت في القلوب بالروح القدس (رج روم ٥:٥)، فإن الجمهور الرهباني الذي اجتمع باسم الله كعائلة حقيقية، ينعم بحضرة الله، إذ المحبة هي الناموس بتمامه (رج روم ١٣:١٠)»»[٥].

وفي تصريح حول «علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية»، يقول المجمع: «يقوّض أساس كل نظريّة أو تصرّف يفرّق بين إنسان وإنسان، وبين أمّة وأمّة، في ما يتعلّق بالكرامة الانسانية وبالحقوق النابعة منها»[٦]، «لأن الله يأخذ بالاعتبار كرامة الشخص البشري الذي خلقه لذاته»[٧].

فالحريّة الشخصية حدودها المحبّة الأخوية. كلّ من يخطأ الى أخيه ويزلّه، بتحرّره ومعرفته وادّعائه، فيجرح ضمائر إخوته الضعيفة، وهو يدّعي أنه يبنيها، يخطأ الى المسيح (روم ٨:١١-١٢؛ ١٤:١٥).

آ ١١: «كونوا في الجهد غير متكاسلين، في الروح حارّين، للربّ عابدين»

«كونوا في الجهد غير متكاسلين»

قال بولس للتسالونيكيين: «من لا

١- التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٧٢٧.
٢- يوحنا بولس الثاني، إطلالة الألف الثالث، ١٤/١١/١٩٩٤، ٥٠.
٣- المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور راعوي حول الكنيسة في عالم اليوم «فرح ورجاء»، ٢/٣٧.
٤- المجمع الفاتيكاني الثاني، قرار في حياة الكهنة وخدمتهم الرعوية، ٩.
٥- قرار في تجديد الحياة الرهبانية، ١٥.
٦- بيان حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، ٥.
٧- بيان في الحرية الدينية، ١١.

يشتغل لا يأكل»، وللقورنثيين: «نتعب عاملين بأيدينا» (١ قور ٤:١٣).

إن تقديس الفرد وخلاصه الشخصيّ يتطلّبان جهدًا كبيرًا، وسعيًا حثيثًا مستمرًّا (٦:١٣-١٩؛ ١٢:١١).

«كونو... في الروح حارّين»

«الروح القدس» (٥:٥)، ميزةُ العهد الجديد (٢:٢٩؛ ٧:٦)، هو مبدأ داخلي لحياة جديدة، يفيضه الله (٥:٥)، هو روح المسيح، وبالإيمان (١:١٦) والعماد (٦:١-١١)، يسكن فينا (٨:٩)، في أرواحنا (٨:١٦)، فيتمّ سرّ الاتحاد بالمسيح القائم من الموت، فيجعلنا الروح القدس أبناء الله (٨:١٤-١٦)، ويصبح فينا مبدأ قيامة (٨:١١)، وباكورة (٨:٢٣). يمنحنا محبته (٥:٥؛ ١٥:٣٠)، وقداسته (١٥:١٦)، ومسلكًا خلقيًا (٨:٤-٩ و١٣)، فننتصر على الضعف والخطيئة، ونشهد للمسيح بالصدق والشفافية. إننا في العماد نلبس المسيح. هكذا يعمل يسوع بالمؤمن من الداخل، من قلب حياته، ولا يبقى العماد طعمًا خارجيًا ملصقًا عليه، أو وجودًا آخر موازيًا لوجوده. هذا الحضور فينا يسمّيه الرسول بولس سُكنى الروح (٨:١١). هذه السُكنى تحدث تحوّلاً جذريًا في حياتنا بحيث يصبح باستطاعتنا أن نتخلّص من جاذبيّة الأرض لتشدّنا جاذبيّة السماء، فنقهر الشيطان، أي نتحرّر من كلّ ما يبعدنا عن الله أبينا، ونتحرّر من المصير البشري الغامض والمنغلق على ظلمة القبر.

آ ١٢: «بالرجاء فرحين، في الضيق ثابتين، على الصلاة مواظبين»

«بالرجاء فرحين»

الفرح ثمن الإيمان بالبشرى. «غادر الرسل المجلس مسرورين، إذ وُجدوا أهلاً لأن يُهانوا من أجل الاسم» (رسل ٥:٤١): هو اسم يسوع.

«في الضيق ثابتين»

يرى بولس المضايق أمرًا لا بدّ منه، يلازم المؤمنين، وخصوصًا الرسل والمبشّرين، فيركّز على الافتخار بالمضايق، في حياة المؤمنين اليومية، وفي رسالة الكنيسة، على مرّ الزمن. يستخفّ المؤمن بآلام الدهر الحاضر (٨:١٨)، ويتحمّلها بصبر وثبات (٨:٢٥؛ ١٢:١٢؛ ١٥:٤). و«نعلم أن الخليقة كلّها تئنّ وتتمخّض الى الآن، وما ذلك فحسب، بل نحن أيضًا الذين لنا باكورة الروح، نحن أيضًا نئنّ في أنفسنا منتظرين التبني، فداء جسدنا» (٨:٢٢-٢٣): ننتظر رجاء وفرحًا. «تتمخّض»: تعبير كتابي مألوف (أش ٦٦:٦-٨؛ إر ١٣:٢١)، يعني حالة ضيق وألم، تنتظر فرجًا وفرحًا. «يعلم المؤمن أنه في كلّ صليب يرضى بحمله هبة للمسيح يشترك مع المسيح في خلاص العالم»[٨]. فيا روح المحبة والسلام، ألهم من هم في الضيق الثقة والرجاء، واشحذ همّة الجميع لصياغة مستقبل أفضل.

«على الصلاة مواظبين»

إن الصلاة تفترض دائمًا جهدًا. وذلك ما يعلّمنا إيّاه المصلّون الكبار في العهد القديم قبل المسيح. إنّ الصلاة جهاد. المسيحيون الأوائل، في الكنيسة الأولى، «كانوا مواظبين على... الصلوات» (رسل ٢:٤٢): صلوات اليهود، وزادوا عليها الدّعاء باسم الرب يسوع.

الروح القدس، الساكن في المؤمن، هو معلّم الصلاة (٨:٢٥-٢٧). فالرّجاء «يعبَّر عنه ويغذّى في الصلاة»[٩]. إنّ الصلاة تأتي من الروح القدس وليس من المصلّين وحدهم[١٠]. ولا بدّ، للتغلّب على إخفاقات الصلاة، «من المجاهدة للحصول على التواضع والثقة والثبات»[١١]. صلاتنا فعل رجاء به «نجرؤ على التقرّب الى الله مطمئنّين».

آ ١٣: «في حاجات القدّيسين مشاركين، في محبة الغرباء جاهدين»

«القديسون» هم «جميع الذين في روما، أحبّاء الله، المدعوّون ليكونوا قدّيسين» (١:٧)، الذين كان شاول قد اضطهد إخوتهم في أورشليم، وقد «أساء» إليهم كثيرًا (رسل ٩:١٣). وُصفت بالقداسة كنيسة أورشليم واليهودية (روم ١٥:٢٦ و٣١)، ثمّ وُصف بها المسيحيون عامّة (٨:٢٧؛ ١٢:١٣؛ ١٦:٢ و١٥).

في آخر الرحلة الرسولية الثالثة، سنة ٥٨، ظروف تدوين الرسالة الى الرومانيين في قورنتس، نوى بولس أن يذهب بنفسه الى أورشليم ليخدم «القديسين»، حاملاً مساعداتٍ من

٨- يوحنا بولس الثاني، **رجاء جديد للبنان**، ١٠/٥/١٩٩٧، ٣٤.
٩- **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، ١٨٢٠.
١٠- المرجع نفسه، ٢٧٢٦.
١١- المرجع نفسه، ٢٧٢٨.

«مقدونية وآخائية» (١٥:٢٥-٢٦)، الى المسيحيين في أورشليم، الفقراء المحتاجين الى مثل تلك التبرّعات (رسل ١١:٢٩ و٣٠). من مقوّمات المحبّة الإسعاف (١٤:١٥). وجمع التبرعات أمرٌ هام جدًّا في حياة بولس التبشيريّة (١٥:٢٦-٢٨)، ولقد حَرَصَ بولس على جمعها علامةً للوحدة وصونًا للشركة بين الكنائس اليونانية والكنيسة الأم في أورشليم.

آ ١٤: «باركوا المضطهِدين، باركوا ولا تلعنوا»

بعد إرشادات خاصة بالجماعة المسيحية، في علاقاتها الأخوية المتبادلة (١٢:٩-١٣)، يوسّع الرسول آفاق تفكير الجماعة حتى يضمّ الناس أجمعين (آ ١٤-١٦)، والناس الأعداء أنفسهم (آ ١٧-٢١) بغير استثناء. وربّما تذكّر بولس موت اسطفان حين رَجْمِهِ، وكان شاول آنذاك «في مَن وافقوا على قتله، إذ «صاح (اسطفان) بصوت جهور: يا ربّ، لا تُقِمْ عليهم هذه الخطيئة» (رسل ٧:٦٠). وقبل كتابة الرسالة الى روما، كان بولس قد كتب الى القورنثيين، حول الدور الحق لرسل الإنجيل (١ قور ٣:١-١٣:٤): «نُشتَم فنبارك، نُضطهَد فنحتمل، يُفترى علينا فنعزّي» (١ قور ٤:١٢-١٣).

آ ١٥: «إفرحوا مع الفرحين، إبكوا مع الباكين»

جاء في سفر يشوع بن سيراخ، حول «الفقراء والمبتَلَين» (سي ٧:٣٢-٣٦): «لا تتوارَ على الباكين، واحزن مع المحزونين» (سي ٧:٣٤). وفي رسالته الأولى الى أهل قورنتس، وبالتحديد في كلامه حول الجسد الواحد والأعضاء الكثيرة (١ قور ١٢:١٢-٣١)، قال بولس: «إن تألّم عضوٌ واحد، فمعه تتألّم جميع الأعضاء. وإن تمجّد عضوٌ واحد، فمعه تفرح جميع الأعضاء» (١ قور ١٢:٢٦). فالمطلوب التعاون والمحبة والحنو والرفق وإسعاد الآخر والإفراج والتعزية.

آ ١٦: «مفكّرين بعضكم في بعض تفكيرًا واحدًا، لا متعالين، بل متواضعين؛ لا تكونوا حكماء في عيون أنفسكم»

«مفكّرين بعضكم في بعض تفكيرًا واحدًا»

إنّ في تعليم بولس في هذا الصّدد لصدىً لحياة جماعة المؤمنين في الكنيسة الأولى المضطَهدة: «كانت جماعة المؤمنين قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة» (رسل ٤:٣٢)، وصدىً أيضًا لمجمع أورشليم (رسل ١٥:١-٣٥)، سنة ٤٩، الذي وافق بالإجماع على «إنجيل» بولس، وأوفده، صحبة برنابا، ويهوذا وسيلا، الى الإخوة المهتدين من الوثنية في انطاكية وسورية وقيليقية» (رسل ١٥:٢٢-٢٣).

«واقبلوا ضعيف الإيمان بلا جدال في الآراء» (روم ١٤:١). حلّ الرسول هو أن يقبل المؤمنون بعضهم بعضًا، لأنّ الله قبلهم جميعًا (١٤:٣)، فيتصرّف كلٌّ وفق ضميره (١٤:٥-٦) باحترام متبادل ومحبّة، بدون ارتياب (١٤:٢٣)، وبدون أن يفرض أحدٌ رأيه على آخر أو يجادله (١٤:١).

«لا متعالين»

في كلامه حول خلاص الأمم (١١:١١-٢٤)، يقول بولس للأممي: «إن شمختَ (على الغصون) فما أنت تحمل الأصل، بل الأصل يحملك... هي قُطِعَت لكفرها، وأنت لإيمانك بقيت، فلا تتعالَ، بل خَفْ» (١١:١٨ و٢٠).

«لا تكونوا حكماء في عيون نفوسكم» (١٢:١٦)

هذا استشهاد من سفر الأمثال: «لا تكن حكيمًا في عيني نفسك» (مثل ٣:٧). وكذلك نقرأ في أشعيا: «ويلٌ للذين هم حكماء في أعين أنفسهم، عقلاء أمام وجوههم» (أش ٥:٢١). «فإنّي، بالنّعمة التي وُهِبَت لي، أقول لكلٍّ منكم ألا يعتبر نفسه فوق ما يجب أن يعتبر، بل أن يتعقّل في اعتبار نفسه، كلّ واحد مقدار ما قسم الله له من إيمانه» (١٢:١٣)، أي عمل الإيمان والتوضيح (١٢:٤-٨).

آ ١٧: «لا تبادلوا أحدًا شرًّا بشرّ، واعتنوا بالخير أمام جميع الناس»

في إرشاده حول بنيان الجماعة المسيحية (١ تس ٥:١٢-٢٤)، وبالتحديد في كلامه حول العلاقة المتبادلة بين المؤمنين، يقول بولس: «حذار أن تبادلوا شرًّا بشرّ، بل اتّبعوا الخير على الدوام بعضكم لبعض وللجميع» (١ تس ٥:١٥). وفي توصية بالمرسلين الى قورنتس، طيطس ورفيقيه، قال بولس: «إنّا نُعنى بالخير لا أمام الرّب فحسب، بل أمام الناس أيضًا» (٢ قور ٨:٢١).

«ليرضِ كلّ منّا قريبه في سبيل الخير للبناء» (١٥:٢)، ليكبر وينال الخير.

فعلى ضمير كلّ واحد «أن يسعى جهده الى الانفتاح على اعتبار خير الجميع كما يبدو في الشريعة الأخلاقية، الطبيعية والموحى بها، وبالتالي في شريعة الكنيسة وفي تعليم السلطة الرسميّ من المسائل الأخلاقية»[١٢].

آ ١٨: «من قِبَلكُم، إن أمكن، سالموا جميع الناس»

في كلامه في روم ١٤ الى الأقوياء والضعفاء: «من لا يأكل، لا يدن من يأكل... أنتَ، من أنتَ، يا من تدين خادم غيرك» (روم ١٤:٣-٤)، أي خادم الله. «أما أنت، فِلمَ تدين أخاك؟» (١٤:١٠). «فملكوت الله... هو عدلٌ وسلام» (١٤:١٧). يهتمّ بولس في أن يعيش المؤمن، خادم الله (١٤:٤)، خادم المسيح، في تناغم وسلام مع إخوته، ومع جميع الناس (١٢:١٧-١٨؛ ١٤:١٨). «فلنسعَ إذًا الى ما هو للسلام، وما هو للبناء بعضُنا لبعض» (١٤:١٩).

تناشد الكنيسة المسيحيين كي يعيشوا بسلام مع جميع الناس ليكونوا حقًا أبناء الآب السماوي، وإخوة محبّين للعائلة البشرية كلّها. فالمجمع المقدّس، إذ يتتبّع خطى بولس، يناشد المسيحيين بحرارة كي يسيروا سيرة حسنة بين الأمم، أن يسلكوا «سلوك روح لا سلوك جسد» (٨:٤)، وأن يعيشوا بسلام مع جميع الناس بقدر ما يتعلّق ذلك بهم (١٢:١٨). و«إله السلام معكم أجمعين» (١٥:٣٣). «يسحق إله السّلام الشيطان عاجلاً تحت أقدامكم» (١٦:٢٠).

آ ١٩: «لا تنتقموا لأنفسكم، أيّها الأحباء، بل افسحوا لغضب الله، فقد كتب: لي الانتقام، أنا أجازي، يقول الربّ»

فماذا تعني هذه الآية؟ المعنى: «لا تنتقموا»، أي لا تضعوا غضبكم في حسابكم، بل في حساب ربّنا. دعوا «الغضب» لله على طريقة الله، وليس على طريقتكم: يركّز بولس على الناحية العملية من الأفراد. فأنت كشخصٍ مسيحيّ، في حال وصلت الى موقف صعب، دع الأمر لله. أنت تجنّب الغضب على أخيك الإنسان. ولا تطلب من الله أن يغضب، بل دع الأمر لله.

آ ٢٠: «لكن إن جاع عدوّك فأطعمه، وإن عطش فاسقه. بفعلك هذا، تركُم على هامته جمر نار»

هذه الآية توضح معنى آ ١٩: إصنع عكس الغضب، إعمل الخير مع عدوّك. لا تمارس غضبك عليه. و«العفو عند المقدرة». هذه الآية استشهاد من سفر الأمثال: «إن جاع عدوّك فاطعمه خبزًا، وإن عطش فاسقه ماءً، فإنّك تركم على هامته جمرًا. والربّ يجازيك» (مثل ٢٥:٢١-٢٢). وكذلك نقرأ في سفر الخروج حول ممارسة العدل والواجبات نحو الأعداء (خر ٢٣:١-٩): «إذا لقيت ثور عدوّك أو حماره ضالاً، فردّه إليه. وإذا رأيت حمار مبغضك ساقطًا تحت حمله، فكفَّ عن تجنُّبه، بل أنهضه معه» (خر ٢٣:٤-٥).

«جمر نار»

العدو يتوقّع أن نسيء إليه. ولكنّك أنت أفدته، فلم تحقق تخوّفه منك. «ينتقم» المسيحي من عدوّه بالإحسان إليه. يرى شرّاح أنّ «جمر النار» على رأس العدوّ، رمز الى قصاص الله العادل. ويرى آخرون أنّه رمز الى وخز الضمير عند المسيء، وقد يقوده الى أن يعيد حساباته من جديد، ويتأجّج داخليًا، ثم يعي حقيقة الوضع، ويعمد الى التوبة وتطهير ضميره، متأثّرًا بفعل إحسان المسيحي إليه، هذا الألم النفسي والروحي يشفي من العداوة. فعوضًا عن أن نبادل الشرّ بمثله حين يُساء إلينا، نعامل العدوّ كما لو كان صديقًا عزيزًا. فالمسيح هكذا صنع (١٥:٣).

آ ٢١: ف«لا يغلِبكَ الشرّ، بل اغلب الشرّ بالخير»

يظهر أن الخطيئة البشرية تخدم نهاية صالحة، وذلك لأن الله يحوّل بصلاحه الشرّ الى الخير حتى يستطيع الناس أن يروا صلاح الله أكثر وأكثر (رج روم ٣:٥-٨).

في الطلبة الأخيرة من الأبانا نسأل الله أن يحرّرنا من الشرّ.

«أما المسيحيون، ويقينًا منهم أنهم مدعوون لحمل بشارة الخلاص الى عالم يسوده الشر والشرير، فما عليهم سوى أن يضعوا ثقتهم بالله، متوسلين إليه أن يجعل تلك الغلبة على رئيس هذا العالم (راجع يو ١٤:٣٠) التي أحرزها نهائيًا المسيح اختبارًا يوميًا في حياتهم»[١٣].

الخاتمة

الحياة المسيحية لا تعنى بحياة الإنسان

١٢- **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، ٢٠٣٩.

١٣- يوحنا بولس الثاني، **نداء لمناسبة يوم الرسالات العالمي**، ١٩٩٩، ٨.

الخلقية والروحية (١٢:١) والجماعية الكنسية (١٢:٩-٢١) فحسب، بل بحياته المدنية أيضًا (١٣:١-٧). وهذه أيضًا تُعاش وفق مبدأ المحبة: «فمن أحبّ الغير أتمّ الشريعة» (١٣:٨): لا يحصر بولس وصيّة المحبّة بقريب أو بجماعة (١٣:٩). فالقريب، في نظر بولس، هو كلّ إنسان عضوٌ في العائلة البشرية، وقد توحّدت في المسيح، فالمحبة غاية الشريعة كلّها، ولا غاية للشريعة إلا المحبة. فالمحبة وكمالها جميعًا (١٣:٨-١٠). يخصّها بولس هنا بميّزتين، الأولى: «لا يكن لأحد من حقٍّ عليكم إلا أن يحبّ بعضكم بعضًا» (١٣:٨)، والثانية: «المحبة لا تنال القريب بسوء» (١٣:١٠).

يبقى المبدأ الأساسي لحياة الجماعة الداخلية ولعلاقتها مع البيئة الاجتماعية، هو مبدأ «المحبة ملء الشريعة» (١٣:٨-١٠)، التي يضعها بولس في «الروح»، والتي يغتذي منها العقل، القدرة على التمييز والاختيار البسيط على «الجسد». والمحبة لا تقبل بسوء استعمال السلطة (روم ١٣:١)، كما لا ترضى بسوء استعمال الحرّية، لأنّ السلطة «خادمة الله في سبيل الخير» (١٣:٤)، كما أن الحرية مرتبطة بالخير والحق.

الحرية الشخصية حدودها المحبة الأخوية. كلّ من يخطأ الى أخيه ويُزِلّه، فإلى المسيح يخطأ.

الشريعة الجديدة أو الشريعة الإنجيلية كلّها موجودة في وصية يسوع المسيح: أن نتحابّ كما أحبّنا (يو ١٥:١٢). جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: «ينبغي أن يُضاف الى عظة الرب التعليم الديني الأخلاقي في التعاليم الرسولية. هذه العقيدة تنقل تعليم الرب مُوَثَّقًا بسلطة الرسل، خصوصًا في عَرضِ الفضائل الناجمة عن الإيمان بالمسيح، والتي تحييها المحبّة، موهبة الروح القدس الرئيسة.

وفي المجدلة الختامية (١٦:٢٥-٢٧) التي تشيد بقدرة الله الذي يثبّت المؤمنين على إنجيل يسوع المسيح، يشدّد بولس على الثبات والرسوخ في العقيدة الإيمانية، وفي السلوك المسيحي.

نظرة بولس في الرسالة الى الرومانيّين تهيئ نظرته العملية الخلقية في الرسالتين الى طيموتاوس والرسالة الى طيطس.

بولس يرفض أن يكون لاهوتيًا أخلاقيًا بحتًا! إنه مسيحي يرجو القيامة مع المسيح يسوع الحيّ والمحيي الى الأبد.

توجيهات بولس تضعها الكنيسة المارونية في نهاية السنة الطقسية (الأحد الأخير من زمن الصليب) لتُعيدنا الى أعمالنا الإيمانية والعملية. تلخّص هذه التوجيهات السيرة المثالية التي يجدر بالمؤمن أن يتحلّى بها. إنها توجيهات تصلح لأن تكون مشروع حياة لكلّ واحدٍ منّا.

أخبار بيبلية

المسيحيّون والقدّيس توما

وصل توما إلى الهند قرب كرنفانور (مادراس) حوالي سنة ٥٠. زار الملك غوندوفاريس في تكسيلا، ووصل إلى جنوب الهند عبر جزيرة سوكوترا. بشّر سنوات عديدة على شاطئ الملابار وهدى عدداً كبيراً من العائلات الميسورة. في المنطقة أسّس توما سبع كنائس، ورسم كهنة وشمامسة يعود بعضهم (كما يقولون) إلى زمن الرسول. عبر الرسول جنوبي الهند، ونادى بالانجيل في منطقة مادراس. ويروي تقليد قديم أنّه وصل إلى الصين. بعد أن عاد توما من سفره هذا، كانت ردّة فعل ضدّ المسيحيّة قادها البرهمان، فاستشهد توما سنة ٧٢ ودُفن في ميلابور، قرب مادراس. وفي نهاية القرن الثاني، طلب مسيحيّو الهند من ديمتريوس أسقف الاسكندريّة، معلّماً من معلّمي الكنيسة ليقوّي إيمان المؤمنين فمضى بنتانس، تلميذ إكليمنضس الاسكندراني، وهناك اكتشف إنجيل متّى مدوّناً في الأراميّة أو السريانيّة.

الخوري بولس الفغالي

حين أعلن بولس المنادي بالانجيل الوحيد أنّ الانسان لا يتبرّر بأعمال الشريعة، بل بالايمان بيسوع المسيح (روم ٣:٢٨؛ غل ٢:١٦)، أفهمنا أمرين اثنين: لا فائدة من ممارسات عباديّة خاصّة بالعالم اليهودي من ختان وغيره. لقد انحصرت الشريعة في نظم العهد القديم، ثمّ هاجم تصوّراً خاصاً للتدبير الخلاصي، بحسبه يستحق الانسان تبريره الخاص بممارسته للشريعة، مع أنّه تبرّر مجّاناً بذبيحة المسيح (روم ٣:٢١-٢٦؛ ٤:٤-٥). لهذا كان هجوم بولس على الشريعة، كما يمارسها العالم اليهودي في أيّامه، قاسياً. قال في الرسالة إلى غلاطية: «الانسان لا يتبرّر بأعمال الشريعة» (٢:١٦). واعتبر أنّ الشريعة حملت إلينا اللّعنة، فنجّانا منها المسيح (٣:١٣). غير أنّه سيقول في الرسالة إلى روما إنّ الشريعة صالحة: «الشريعة مقدّسة، والوصيّة مقدّسة» (٧:١٢). وفي النهاية، سيجعل هذه الشريعة بكلّ فرائضها في إطار المحبّة. ففي المحبّة تعرف حدودها وتأخذ كلّ أبعادها. أجل، تجد الشريعة ملئها وكمالها في المحبّة. هذا ما أبرزه بولس في القسم الثاني من روم، في القسم الارشادي الذي يبدأ فيدعونا إلى الحياة الجديدة في المسيح (١٢:١ي).

١ - الشريعة والشرائع

الشريعة في الأصل هي تعليم أعطاه اللّه للبشر من أجل تنظيم سلوكهم. إنّها تنطبق قبل كلّ شيء على مجموعة تشريعيّة يربطها العهد القديم بشخص موسى. من أجل هذا، نجد عدّة مجموعات تنتظم في شرائع وفرائض ورسوم وأحكام، وهي تنطلق على ما يبدو من خبرة موسى والشعب في سيناء.

أ - الكلمات العشر

يقدّم لنا سفر الخروج الإطار الذي فيه أُعطيت الشريعة أو الوصايا العشر التي سمّاها موسى «الكلمات» (خر ٢٤:٨). فصارت في سفر التثنية «الوصايا العشر» التي كتبها (الربّ) على لوحين من حجر» (٤:١٣)، وسط الرعد والبروق والسحاب الكثيف على جبل سيناء، وصوت شديد جدّاً (خر ١٩:١٦).

جاءت هذه الوصايا في نسختين: واحدة نقرأها في سفر الخروج (٢٠:١-٢١)، وهي تبيّن أنّ موسى، الوسيط بين اللّه والشعب، تقبّل كلمات اللّه وأوصلها إلى الشعب؛ كما بيّن لهم أنّ كلّ هذه الظواهر هي امتحان لهم، ليفرض الربّ مخافته في قلوبهم ويدعوهم لإطاعة وصاياه. والنسخة الثانية نقرأها في سفر التثنية (٥:٦-١٢)، فتشدّد على أنّ موسى سمع صوت الربّ دون أن يموت. في البداية، كانت الوصايا عبارات قصيرة (لا تقتل، لا تسرق، الخ)، سيتوسّع فيها الشرّاح في ما بعد. يذكر المؤمن يوم السبت، فيعمل كما عمل اللّه الذي استراح بعد أن أنجز أعماله. ويكرم أباه وأمّه ليطول عمره في الأرض التي أعطاه الربّ (خر ٢٠:٨-١٢).

وتوسّعت هذه الكلمات العشر أوّلاً في ما سُمّيَ «كتاب العهد» (خر ٢٤:٧) أو «شرعة العهد» (خر ٢٠:٢٢-٢٣:١٩). ضمّت هذه المجموعة شرائع على المستوى المدني والجزائي (٢١:٢-٢٢:١٦)، وشرائع عباديّة (٢٠:٢٤-٢٦؛ ٢٢:٢٨-٣٠؛ ٢٣:١٠-١٩)، ودينيّة (٢٠:٢٣؛ ٢٢:١٧، ١٩؛ ٢٣:١٣)، واجتماعيّة (٢٢:١٨-٢٥)، وأخلاقيّة (٢٣:١٩).

يعود هذا التشريع إلى القرن التاسع، أو الثامن والسابع ق. م. فسبق الشرعة الاشتراعيّة التي تضمّ سفر التثنية في فصوله ١٢-٢٦. يتميّز هذا النص بأسلوبه ولاهوته. دوّن الشرائع في لغة المحبّة، وأسندها بشروح إنسانيّة (٢٤:٦-١٥: أجرة المسكين قبل مغيب الشمس لأنّه بها يعول نفسه)، ولاهوتيّة: الربّ اختارك حين كنت عبداً في مصر (١٤:٢؛ ٢٤:١٨). الربّ يجازيك ويعاقبك: يدعو المسكين عليك إلى الربّ، فتبدو مذنباً في معاملتك لأخيك.

إذا كانت شرعة العهد ارتبطت بمحيط الأنبياء في الشمال، فالشرعة الاشتراعيّة وُلدت في محيط اللاويّين الذين كان اهتمامهم الأوّل تعليم الشعب والحفاظ على تقاليده الدينيّة التي اغتنت بشكل خاص في مناسبة الأعياد. وتبقى شريعة القداسة التي ارتبطت بعالم الكهنة مع عبارة تردّدت أكثر من مرّة: «كونوا قديسين لأنّي أنا الربّ إلهكم قدّوس» (لا ١١:٤٤، ٤٥؛ ١٩:٢؛ ٢٠:٢٦).

نقرأ في سفر اللاّويّين (٢٦:٤٦) ما يلي: «تلك هي الفرائض والأحكام والشرائع التي وضعها الربّ لبني اسرائيل، في جبل سيناء، على يد موسى». نحن هنا في خاتمة شريعة القداسة، التي تنتهي بالبركات واللّعنات، كما في تث ٢٨ ي. وقد بدأت في فصل ١١، ووجدت ذروتها مع فصل ١٩ الذي ينطلق من الوصايا العشر (أو الدكالوغ)، ويطبّقها في الحالات الملموسة. نحن هنا أمام احترام عميق للشخص البشري، يلخّصه الكاتب الملهم بهذه العبارة التي سيردّدها يسوع: «أحبّ قريبك مثلما تحبّ نفسك» (لا ١٩:١٨). وفرض القداسة هذا ينبع من اقتراب من اللّه الذي يقيم وسط شعبه. وهذه القداسة تصيب الأرض كما تصيب الشعب.

ب - الشريعة في الكتاب

بحثنا عن الشريعة بشكل حصري في أسفار موسى الخمسة (أو البنتاتوكس). فالتاريخ المقدّس الذي يرسم مخطّط اللّه منذ البدايات حتى موسى، تقطعه نصوص تشريعيّة فيها أكثر من مادّة. فالتوراة، في المعنى الحصري، ترتّب حياة شعب اللّه في كلّ المجالات.

وارتبطت هذه الشريعة (أو هذه الشرائع) ارتباطاً حميماً بالعهد. بما أنّ اللّه اختار له شعباً خاصّاً ووعده بمواعيد سوف تتحقق في التاريخ، فقد وضع لهذا الشعب شروطاً: على بني اسرائيل أن يسمعوا صوت اللّه ويحفظوا وصاياه، وإلا حلّت بهم لعنات اللّه. «إن سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أنزلت المطر عليكم في حينه... وألقي السلام في الأرض... وإن كنتم لا تسمعون لي، أجلب عليكم الرعب...» (لا ٢٦:٣-١٦؛ رج خر ٢٣:٢١؛ تث ٢٨:١٥-٦٨).

تسلّم الكهنةُ هذه الشريعة، وعلّم اللاّويّون الشعب في ظلّ الهيكل: «وحينما يأتي جميع بني اسرائيل ليروا وجه الربّ إلههم في الموضع الذي يختاره (= في أورشليم)، تُقرأ هذه الشريعة على مسامعهم جميعاً. إجمعوا الشعب (يا بني لاوي) رجالاً ونساء وأطفالاً، والغريب الذي في مدنكم، ليسمعوا ويتعلّموا ويتّقوا الربّ إلهكم» (تث ٣١:١١-١٢).

لا شك في أننا نحن أمام عمليّة تكرار، بل إن الشريعة توسّعت مع الزمن. أعيد النظر فيها؛ تكيّفت وحاجات العصر؛ وُضعت فيها تفاصيل من أجل إيضاح بعض الأمور. وهكذا استعادت شرعة العهد الموجزات القديمة، واستعاد سفر التثنية ما في شرعة العهد، وتوسّع فيه، فبيّن أنّ محبّة اللّه هي أولى الوصايا التي تعود إليها كلّ الوصايا: «الربّ إلهنا ربّ واحد. فأحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك وكلّ قدرتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمركم بها اليوم في قلبك» (تث ٤:٤-٦). فاللّه في سفر التثنية هو إله يحبّ شعبه (٤:٣٧؛ ٧:٨، ١٣؛ ١٠:١٥؛ ٢٣:٦). وهو الاله الذي لا نخافه فقط، بل نحبّه وبالتالي نحفظ وصاياه (٥:١٠). ويعبّر الانسان عن حبّه هذا بالتزام تام تجاه اللّه. يسأل موسى الشعب: «ماذا يطلب منك الربّ؟ تخافه، تسلك في طرقه، تحبّه، تعبده (تخدمه) بكلّ قلبك وكلّ نفسك، وتعمل بوصاياه وسننه» (١٠:١٢). من أجل هذا ينزع الربّ الغشاوة عن قلب الانسان ويطهّره لكي يحبّ الربّ ويحيا (٣٠:٦).

شدّد الكهنة على الاقتداء باللّه القدّوس (لا ١٩:١)، ووبّخ الأنبياء أولئك الذين يهملون الشريعة؛ فقال هوشع: «بما أنّكم نسيتم شريعة إلهكم، فأنا أيضاً أنسى بنيكم» (٤:٦). وذكّر الشعب بما في الوصايا العشر: وجد اللّعنة، والغدر، والقتل، والسرقة، والفسق. وهذه كلّها تجاوزت كلّ حدّ، والدماء تلحق بالدماء. وقابل يشوع بن سيراخ الشريعة بالحكمة (٢٤:٢٣). هذه الشريعة الالهيّة أنشدت المزاميرُ عظمتها: «شريعة الربّ كاملة تنعش النفس، وفرائضه حقّ تجعل الغبيّ حكيماً» (مز

١٩:٨). وسيقول المرتّل حبّه للشريعة في مز ١١٩ : «لا أحب إلا شريعتك» (آ ١٦٣). هذه الشريعة ما نسيها المؤمن (آ ٦٣)؛ فهي خير لي من ألوف ذهب وفضّة (آ ٧٢)، وهي لي نور (آ ٧٧). وفي النهاية، وبعد زوال الاستقلال، صارت الشريعة في قلب الجماعة اليهوديّة التي رأت مدينتها تُدمّر وهيكلها يُحرق. وبعد أن زال الهيكل سنة ٧٠ ب.م.، لم يعد هذا المكان المقدّس رمز حضور اللّه وسط شعبه، بل صارت التوراة «الوسيط» بين اللّه وشعبه.

٢ – الشريعة والمحبّة

الشريعة هي ما شرّع اللّه لعباده من السنن والأحكام. هي طريق يوضحها اللّه لنا، فترتبط بالقضاء والدينونة والحكم. والشريعة هي فريضة تضعها سلطة عُليا، فتحدّد حقوق الفرد وواجباته. إذا كان الأمر هكذا، فكيف تلتقي بالمحبّة التي تنظر إلى وضع كلّ واحد، وتسعى إلى نموّه، كما يُنمي الوالدون أولادهم؟

أ – الشريعة في بداية المسيحيّة

كلّ شيء ينطلق في هذا المجال من الوصايا العشر التي هي في قلب العالم اليهودي الذي عاصر المسيح والبشارة الأولى. وسوف يتوسّع المعلّمون في هذه الوصايا ويفصّلونها تفصيلاً دقيقاً، بحيث صارت ٦١٣ وصيّة أو فريضة. فيها ما أخذ من التوراة الخطّيّة، أي الكتاب المقدّس في عهده القديم، وفيها ما أخذ من التوراة الشفهيّة التي ستُجمع شيئاً فشيئاً قبل أن تتخذ شكلها النهائي في تلمود أورشليم وتلمود بابل، وهذه الوصايا لم توضع في زمن موسى، أي في القرن الثالث عشر ق. م.، بل هيّأها اللّه منذ الخلق، وفرضها على جميع البشر في كلّ مكان وكلّ زمان؛ فأوّل كلمة قالها اللّه كانت الوصايا العشر، فتُرجمت حالاً إلى سبعين لغة، لكي تصل إلى شعوب الأرض التي عددها سبعون، كما يقول التقليد اليهودي.

انقسمت هذه الوصايا قسمين : الوصايا الايجابيّة، تقول لنا ما يجب أن نعمله؛ مثلاً، الايمان بوجود اللّه، بوحدة اللّه. نحبّ الربّ، نخافه، نرفع إليه الصلوات، نتعلّق به باحثين عن رفقة الحكماء؛ نُقسم به، وندعوه، نسير في طرقه، نقدّس اسمه، ندرس التوراة... وتتواصل هذه الوصايا حتى تبلغ ٢٤٨ وصيّة، مع شرائع حول الميراث. والوصايا السلبيّة تمنعنا من عبادة الأوثان والسحر والتجديف وتدنيس الاسم المقدّس، كما تحرّم علينا بعض الأطعمة، وتحذّرنا من الدَّين بالربا والسرقة والظلم...، هي ٣٦٥ وصيّة.

فُرضت هذه الوصايا على المؤمنين في شريعة متكاملة، فاعتبر المعلّمون أنّ مَن أهمل وصيّة من هذه الوصايا، بدا وكأنّه أهمل جميع الوصايا، فاستحقّ الدينونة. هذا ما نكتشفه عند بولس الرسول، قال : «أشهد مرّة أخرى لكلّ مَن يختتن بأنّه ملزم بأن يعمل بأحكام الشريعة كلّها» (غل ٥:٣). وكان قد قال في الرسالة عينها (٣:١٠)، مستنداً إلى العهد القديم: «أمّا الذين يتكلّمون عن العمل بأحكام الشريعة، فهم ملعونون جميعاً. فالكتاب يقول : «ملعون من لا يثابر على العمل بكلّ ما جاء في كتاب الشريعة». من الواضح أنّ عامة الشعب لم تكن تعرف هذه الوصايا الكثيرة، ولم يكن بمقدورها أن تمارسها كلّها. لهذا احتقرهم الفرّيسيّون الذين اعتبروا نفوسهم المدافعين عن الشريعة في تعليمهم وفي حياتهم. من أجل هذا، اعتبر بولس أنّ الشريعة عرّفتني إلى الخطيئة (روم ٣:١٠)، ولم تعطني البرّ ولا القوّة لكي أتخطّى ضعفي. وقال بعد ذلك : « فإذا بالوصيّة التي هي للحياة، قادتني أنا إلى الموت، لأنّ الخطيئة اتّخذت من الوصيّة سبيلاً، فخدعتني بها وقتلتني» (روم ٧:١٠–١١).

هنا نفهم السؤال الذي طرح على يسوع، والذي نقرأه في الأناجيل الازائيّة الثلاثة. في الانجيل الأوّل نقرأ أنّ أحد علماء الناموس سأله مجرّباً عن وصيّة هي العظمى في الناموس، فأجاب يسوع: «أحبب الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك، ومن كلّ فكرك. هذه هي الوصيّة العظمى الأولى. والثانية تشبهها: أحبب قريبك مثل نفسك. بهاتين الوصيّتين يتعلق الناموس والأنبياء» (مت ٢٢:٢٤–٤٠). وسأل الانجيل الثاني عن الوصيّة التي هي أوّل الكل (مر ١٢:٢٨). أمّا في الانجيل الثالث، فالعالِم في الناموس أجاب : «أحبب الربّ إلهك وقريبك مثل نفسك» (لو ١٠:٢٥–٢٨). لا شكّ في أنّ العبارة المتحدّثة عن محبّة اللّه، قرأناها في سفر التثنية، وتلك المتحدّثة عن محبّة القريب، قرأناها في سفر اللاّويّين. أمّا الجديد في الأناجيل، فهو أنّ يسوع قارن بين محبّة ومحبّة، واعتبر الثانية مهمّة مثل الأولى. فإن كانت كلّ محبّة تنبع من قلب اللّه، فمحبتنا للّه لا تكون صادقة إلاّ إذا تجسّدت في محبّة القريب. وفي النهاية، يورد لنا الانجيل الثاني قول السائل بأنّ محبّة القريب هي أفضل من جميع

المحرقات والذبائح، فيوافقه يسوع على مقاله : لست بعيداً عن ملكوت اللّه» (مر ١٢:٣٣-٣٤). أمّا متّى فأورد كلام يسوع الذي يجعل الشريعة كلّها في هاتين الوصيّتين.

ب - الشريعة وكمالها في المحبّة

وصل هذا التقليد الانجيلي إلى بولس وجماعته في كورنتس التي منها أُرسلت الرسالة إلى روما. ولا شك في أنّ بولس عاش مسألة الشريعة في أعماقها، وهو الفريسي، فاستطاع أن يقول في بداية شبابه: حياتي هي الشريعة. ولكنّه بعد اهتدائه سيقول : «حياتي هي المسيح» (فل ١:٢١). هذه الشريعة التي كانت حملاً ثقيلاً تهرّب منها الكتبة والفرّيسيّون، وجعلوها على أكتاف الناس، «وما مدّوا إصبعاً واحداً ليساعدوهم على حملها» (لو ١١:٤٦). أحسّ بها بولس، وأوجز ما وجده في اللّوح الثاني من الوصايا في محبّة القريب، فقال : الوصايا تتلخّص في هذه الوصيّة : أحبب قريبك مثلما تحبّ نفسك (روم ١٣:٨-١٠) واستخلص النتيجة : المحبّة كمال الناموس. من مارس المحبّة مارس كلّ أعمال الناموس، فما عاد يخاف بأن يهمل وصيّة من هذه الوصايا، بحيث لن يسمع مَن يقول له : «مَن خالف وصيّة من أصغر هذه الوصايا...» (مت ٥:١٩).

كان بولس يحدّث المؤمنين في روم ١٣:١-٧ عن واجباتهم تجاه السلطة، عن الضريبة والجزية، وها هو ينتقل في آ ٨ إلى الحديث عن الدَّين في حياة الانسان اليوميّة، يقول : يمكنكم أن تدفعوا جميع ديونكم فلا يبقى لكم هَمٌّ في هذا المجال، بحيث تستغنون عن الشخص الذي لستم مديونين له في فضّة أو ذهب؛ ولكن يبقى دين لا يمكن أن نفيَه مهما طالت بنا الحياة، يرافقنا حتى الموت. نحن ندفع بعضاً منه، ولكن يبقى علينا حتى النهاية أن نمارس المحبّة لبعضنا بعضاً. بالمحبّة وحدها نُتمّ الشريعة، نعمل كلّ ما تطلبه منّا الشريعة.

«لا يكن عليكم لأحد دين إلا محبّة بعضكم لبعض». نقرأ في هذا القول موجزاً لجميع متطلّبات الحياة المسيحيّة. يعلن بولس أنّ الحبّ دين له دور كبير في سلوك المؤمنين، وهو لا ينحصر في المسيحيّين فقط بل يضمّ جميع البشر، وهو يتغلّب على كلّ مزاحمة في المجتمع. قرأنا أوّلاً «بعضكم لبعض»، ثمّ جاءت لفظة «الغير، الآخرين»، وفي آ ٩ «القريب». هنا نتذكّر مفهوم القريب في لو ١٠:٢٩-٣٧، ونفهم إلى أيّ حدّ تمتدّ محبّتنا. في هذا المجال يقول بولس : «فكما سامحكم الرب، سامحوا أنتم أيضاً، والبسوا فوق هذا كلّه المحبّة، فهي رباط الكمال» (كو ٣:١٤). فالمحبّة هي المحبّة العظمى (١كور ١٣). هي تربط جميع الفضائل المسيحيّة في حزمة واحدة، فتحيط بالانسان الجديد كحزام يهيّئه للسفر، على مثال الشعب العبراني في انتقاله إلى سيناء حيث اللّقاء مع الربّ. والمحبّة تربط أعضاء الجسد بعضهم مع بعض، على ما نقرأ في كو ١:١٥: «وليملك في قلوبكم سلام المسيح، فإليه دعيتم كلّكم لتصيروا جسداً واحداً». ويعود بولس إلى هذا الكلام في الرسالة الأولى إلى تيموتاوس: «وما غاية هذه الوصيّة إلاّ المحبّة الصادرة عن قلب طاهر» (١:٥).

«من أحبّ القريب (حرفيّاً «الآخر») أتمّ الشريعة». تعتبر المحبّة تتمة الشريعة وكمالها. هي «ملء الشريعة»، وبدونها تبقى الشريعة ناقصة، بل فارغة من جوهرها؛ فلا هدف للشريعة سوى المحبّة. في هذا المعنى نقرأ : «فالشريعة كلّها تكتمل في وصيّة واحدة : «أحبّ قريبك مثلما تحبّ نفسك» (غل ٥:١٤). أجل، من يحبّ قريبه يتمّ الناموس، على ما قال يسوع لمعلّم الناموس في إنجيل متّى. نقرأ أوّلاً التطبيق الايجابي : «أخدموا بعضكم بعضاً بالمحبّة» (غل ٥:١٣). هكذا تدلّون حقّاً على أنّكم أحرار من أجل الخير، لا عبيد في خدمة شهواتكم. ثمّ نقرأ التطبيق السلبي : «إذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً، فانتبهوا أنّ لا يفني واحدكم الآخر» (آ ١٥). هنا نلتقي مع ما تقوله الرسالة إلى رومة : «فمَن أحبّ قريبه لا يسيء إليه» (١٣:١٠).

أجل، المحبّة هي ملخّص الفرائض التي نجدها في الشريعة. وفي روم ١٣:٩ نقرأ تفصيل هذه الوصايا كما في الوصايا العشر، أو الدِكَالُوغ : «لا تزنِ، لا تقتل، لا تسرق، لا تشته». كان بإمكان الرسول أن يتابع اللاّئحة التي يعرفها قارئ الكتاب المقدّس، ولكنّه لم يفعل، بل قال : «وسواها من الوصايا»، أي من الوصايا العشر.

ويعلن بولس : إنّ الوصايا «تتلخّص في هذه الوصيّة : أحبّ قريبك مثلما تحبّ نفسك» (روم ١٣:٩). هكذا اعتاد المعلّمون أن يلخّصوا الشريعة، بل الوصايا الست مئة وثلاث عشرة. غير أنّ القريب امتد مع بولس إلى أبعد ممّا نظر المعلّمون اليهود. هنا نتذكّر أنّه كانت شريعتان، واحدة تمارس داخل الشعب وأخرى مع الغريب. ونعطي مثالاً على ذلك الدَّين. نقرأ في سفر

الخروج : «إن أقرضت مالاً لمسكين من شعبي، فلا تعامله كالمرابي، ولا تفرض عليه ربى» (٢٢:٢٤). هذا يعني أنّه يعامل الغريب كالمرابي. وقد يعفي أخاه ممّا أقرضه من مال، أمّا الغريب فيطالبه (تث ١٥:٢-٣). وما يقوله سفر التثنية أيضاً عن العطاء المحصور داخل شعب اللّه يفتحه يسوع على كلّ الناس، على كلّ مَن ألتقي به في طريقي ويحتاج إلى عطائي: «إن أحببتم مَن يحبّونكم، فأيّ فضل لكم؟ وإن أحسنتم إلى المحسنين أليكم، فأي فضل لكم؟ أحسنوا وأقرضوا غير راجين شيئاً» (لو ٦:٣٢-٣٥). هكذا تكونون أبناء العليّ الذي يرسل عطاياه إلى الجميع. ونقرأ في الانجيل الأوّل: «من طلب منك شيئاً فأعطه، ومن أراد أن يستعير منك شيئاً، فلا تردّه خائباً» (٥:٤٢).

فالمحبّة، كما يقول بولس، لا تسيء إلى القريب، لا تسيء إلى أحد (روم ١٣:١٠). فالمحبّة تنطلق من الايمان، والايمان يظهر حين نمارس المحبّة (غل ٥:٦). ونقرأ في ١كور ١٣:٤-٦ ما لا تعمله المحبّة : «لا تعرف الحسد، ولا التفاخر، ولا الكبرياء. لا تسيء التصرّف، لا تطلب منفعتها، ولا تحقد، ولا تظنّ السوء. المحبّة لا تفرح بالظلم». أمّا الايمان الذي يعمل بالمحبّة، فيطلب كلّ ما هو صالح بالنسبة إلى القريب.

إنّ «المحبة هي كمال الناموس»، هي «ملء الناموس»؛ هي تُتم كلّ ما تطلبه الشريعة (روم ٨:٤). كلّ ما يُطلب من الخاضعين للشريعة، يجب أن يُتمّوه. ولكن المسيح هو «غاية الشريعة» (روم ١٠:٤)، هو الهدف الذي إليه تتجّه في تاريخ الخلاص. عند ذاك، فالحبّ الذي هو علّة حياته ونشاطه الخلاصي (روم ٨:٣٥؛ محبّة المسيح)، نفهمه على أنّه «كمال الشريعة». عندئذٍ تصبح المحبّة قاعدة السلوك المسيحي. وحين نعيشها حقّاً، نتمّ كلّ ما لأجله جُعلت الشريعة. وهكذا يبيّن بولس أن الايمان يفعل عبر المحبّة (غل ٥:٦)؛ كما أنّه يُثبت الشريعة (روم ٣:٣١) ولا يلغيها.

خاتمة

تلك كانت مسيرتنا من الشريعة إلى المحبّة، ومن المحبّة إلى الشريعة. فلو ظلّت الشريعة على مستوى العالم القديم، لظلّت ناقصة، لهذا جاء يسوع يكمّلها. ولو انحصرت في شعب من الشعوب، وجماعة منغلقة على ذاتها، لخسرت صفة الشموليّة التي تميّز أبانا السماوي الذي يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويسكب غيثه على الأبرار والظالمين (مت ٥:٤٥). ولو ظلّت موزّعة على تفاصيل، وتنوّعت في فرائض لا يستطيع أن يعمل بها المؤمن، لخلقت عقدة الذنب عند كلّ واحد منّا، لأنها أوسع من أن نحيط بها، ونحن ضعفاء، بعد أن ألقت الخطيئة بثقلها على كاهلنا. من أجل هذا أُفيضت محبّة اللّه في قلوبنا بالروح القدس الذي وهبه لنا (روم ٥:٥). وهذه المحبّة هي التي تكمّل الشريعة، فتقودها إلى كلّ متطلّباتها، فلا تتوقّف عند القتل، بل تصل إلى الغضب. ولا تتوقف عند الزنى، بل تصل إلى نظرة يشتهي بها الانسان امرأة قريبه. وهذه المحبّة هي التي توجز الشريعة، بحيث يصبح هدفنا هدف أوغسطينوس: «أحبب وافعل ما تشاء». وفي النهاية، المحبّة هي اللّه. ينبغي علينا أن لا نتوقف عند شرائع موسّعة قد ننسى بعضها، بل أن نقتدي باللّه كالأبناء الأحبّاء، ونسير في المحبّة سيرة المسيح الذي أحبّنا وضحّى بنفسه من أجلنا (أف ٥:١-٢).

المراجع:

الفغالي، الخوري بولس، **من العبوديّة إلى العبادة: الخروج اللاويّون** (المجموعة الكتابيّة، ٣؛ المكتبة البولسيّة، ١٩٩٠).

الفغالي، الخوري بولس، **من سيناء إلى موآب: العدد تثنية الاشتراع** (المجموعة الكتابيّة، ٤؛ المكتبة البولسيّة، ١٩٩٦).

BOUDART A., "Code Deutéronomique", *Dictionnaire Encyclopédique de la Bible* (Brepols, 1987) 347-348.

BUIS, P., *La notion d'alliance dans l'Ancien Testament* (LD 88; Paris, 1976).

BUIS, P., "Loi de sainteté", *Dictionnaire Encyclopédique de la Bible*, p. 1157-1158.

CAZELLES, H., *Etudes sur le Code de l'Alliance* (Paris, 1946).

Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme (Paris, 1993) 250-267; 1124-1136.

FEUILLET A., "Loi ancienne et morale chrétienne d'après l'épître aux Romains", *NRT* 92 (1970) 785-805.

GIBLET, J. et alii, *La Loi dans l'éthique chrétienne* (Bruxelles, 1981).

GRELOT P., "Loi", *Vocabulaire de Théologie Biblique* (Paris, 1966) col. 540-552.

LYONNET S., "La charité plénitude de la loi (Rm 13,8-10)", *Etudes sur l'épître aux Romains* (AnBib 120; Rome 1989) 310-328.

Van IMSCHOOT ET BUIS, P., "Code de l'alliance", *Dictionnaire encyclopédique de la Bible* (Brepols, 1987) 38-39.

SWAELES, R., "La charité fraternelle accomplissement de la loi; Rm 13,8-10", *AssSeig* 54 (1972) 10-15.

Voir *Ravenna Felix* (Longo Editore 1982) 48.

العبرانيّون عند سفح جبل سيناء. ستبلغ شريعة سيناء ملئها في المسيح يسوع

أولويّة العمل ضمن ديناميّة التالوث
(روم ١٤: ١٣-٢٣)

أ. أنطوان عوكر

مقدمة

سنتوقف في قراءتنا لنصّ روم ١٤: ١٣-٢٣ أوّلاً على الاطار الكتابي؛ ثمّ، بعد أن نكون قد ترجمناه ترجمة حرفيّة، نعرض بُنيتَه، مُعلّلين رباط أقسام هذه البنية؛ أخيراً، نستخلص أبرز ما يورد بولس من توجيهات، مُركّزين على فائدتها لحاضرنا.

١) الاطار الكتابي

ملاحظة: لن نُكرّر ما قلناه في مقالتنا السابقة* حول روم ١٢: ٩-٢١ («لتكن المحبّة بلا رياء ضمن الجماعة المسيحيّة ومع الآخرين») بشأن الإطار العام والإطار المباشر.

يُشكّل القسم الذي يمتدّ من ١٤: ١ إلى ١٥: ١٣ الاطار الكتابي لنصّنا (روم ١٤: ١٣-٢٣). فيه يتوجّه بولس إلى «الأقوياء» و«الضعفاء»: «تقبلوا ضعيف الايمان...» (١٤: ١)؛ فلا يحكم بعضنا على بعض» (١٤: ١٣)؛ «علينا، نحن الأقوياء، أن نحمل أوهان الضعفاء» (١٥: ١)؛ فتقبّلوا إذاً بعضكم بعضاً كما تقبّلكم المسيح» (١٥: ٧)؛ وقبل أن يُنهي الرسالة ابتداء من ١٥: ١٤ بتوجيهاته الشخصيّة وتحيّاته، يختم بولس كلامه للأقوياء والضعفاء في آ ١٣: «ليغمركم إله الرجاء بالفرح والسلام في الايمان، لتفيض نفوسكم رجاءً بقوّة الروح القدس». تُعطي هذه الآيات التي تقسم الاطار القريب لنصّنا (١٤: ١-١٥: ١٣)، الجوَّ العام لمضمون توجيهات بولس الأخلاقيّة واللاهوتيّة في الموضوع الذي يُعالج في هذا القسم.

يورد بولس تفاصيل كافية في هذا القسم تجعلنا نفهم مضمون الخلاف بين «الأقوياء» و«الضعفاء». فالأقوياء يأكلون من كلّ شيء (على عكس ما هو سائد في التقاليد اليهوديّة)، إذ يعتبرون أنّ كلّ شيء طاهر، في حين يُعلّق الضعفاء أهميّة كبيرة على تجنّب الطعام الدنس، وبخاصّة في العالم الروماني حيث تُقرَّب ذبائح الأوثان وتُباع لحومها في الأسواق، فيأكلون البقول فقط. من جهة أخرى يُميّز الضعفاء «بين يوم ويوم»، في حين «يساوي الآخرون بين الأيّام كلّها» (١٤: ٥). بكلمة واحدة، يظهر أنّ موضوع الخلاف هو ممارسة أحكام الدين اليهودي عامّة وهذين الموضوعين خاصّة.

والمسألة المطروحة هي مسألة الإدانات المتبادلة بين هاتين الفئتين من الجماعة المسيحيّة. يُعالج بولس هذه المشكلة على ثلاث مراحل. يعرض أوّلاً بعض المبادئ لمعالجة النفور القائم بين الفئتين، داعياً إلى القبول المتبادل وعدم الحكم (١٤: ١-٢)؛ ثمّ يدعو الأقوياء إلى إزالة الشكوك والعثرات من أمام الضعفاء (١٤: ١٣-٢٣)؛ أخيراً يضع بولس المسيح مثالاً يُحتذى من أجل إرضاء القريب وقبوله (١٥: ١-١٣). تجدر الاشارة إلى أنّ هذه المراحل تترابط بشكل وثيق، إذ نجد فيها تكراراً لبعض التوجيهات والمواضيع، ممّا يجعل حدودها تتداخل بشكل انتقالي. فالآية ١٤: ١٣ التي يبدأ بها نَصُّنَا (فلا يحكم بعضنا على بعض مِن بعد، بل احكموا بالأحرى بهذا: عدم وضع معثرة لأخ أو شكّ) تختم ما قيل حول عدم الحكم، وتفتتح ما سيُقال حول عدم تشكيك الأخ. والآية ١٥: ١ («فعلينا نحن الأقوياء، أن نحتمل أوهان الضعفاء، ولا نرضي أنفسنا») تنهي ما قاله بولس بشأن الشكوك وتُمهّد لموضوع إرضاء القريب.

* أنطوان عوكر، بيبليا ٦ (٢٠٠٠) ٤٩-٥١.

٢) بنية روم ١٤:١٣-٢٣

آ ١٣ فلا يحكم بعضنا على بعض من بَعدُ؛ بل احكموا بالأحرى بهذا : عدم وضع معثرة للأخ أو شك.

آ ١٤ أنا عارف وموقن في الرب يسوع أنّ لا شيء نجس بذاته، لكن للذي يحسب شيئاً نجساً فله نجس.
آ ١٥ فإذا بسبب طعام يُحزَن أخوك، فلست تسلك بَعدُ بحسب المحبّة.

فلا تهلك بطعامك ذاك الذي لأجله مات المسيح. آ ١٦ لا يُفترَ إذن على صلاحكم.
آ ١٧ فليس ملكوت اللّه أكلاً ولا شرباً، بل برّ وسلام وفرح في الروح القدس.

آ ١٨ فمَن في هذا يَخدِم المسيح، فهو مَرضي لدى اللّه وممدوح لدى الناس.

آ ١٩ فلنتّبع إذن ما هو للسلام وما هو لبُنيان بعضنا بعضاً.
آ ٢٠ لا تهدم، من أجل الطعام، عمل اللّه.

فكلّ شيء طاهر، لكن من السوء أن يأكل الانسان بمعثرة.
آ ٢١ حسنٌ أن لا تأكل لحماً، ولا تشرب خمراً، ولا ما يعثُر به أخوك.

آ ٢٢ أنت، أَلَكَ عقيدة، فاحتفظ بها لنفسك أمام اللّه. طوبى لمَن لا يحكم على نفسه في ما يقرّر.
آ ٢٣ أمّا المُرتاب فمحكوم عليه إذا أكل، لأنّ ذلك ليس عن عقيدة. فكلّ ما ليس عن عقيدة فهو خطيئة.

نلاحظ في هذه البنية توالي التوجيهات والمبادىء العامّة، مع تكرار الكلمات في الأقسام المتوازية:

آ ١٣ : توجيهات بشأن الحكم

آ ١٤-١٥أ : مبادئ عامّة حول النجاسة وحول محبّة الأخ

آ ١٥ب-١٦ : توجيهات بشأن عدم الإهلاك والعمل في سبيل ملكوت السلام

آ ١٨ : مبدأ المرضيّ لدى اللّه والناس

آ ١٩-١٠أ : توجيهات بشأن السلام والبنيان وعدم الهدم

آ ٢٠ب-٢١ : مبادئ عامّة حول الطهارة وحول تشكيك الأخ

آ ٢٢-٢٣ : توجيهات بشأن الحكم

٣) توجيهات بولس في روما ١٤:١٣-٢٣

أ - الحكم

لقد أنهى بولس كلامه على إدانة الأخ، مُركّزاً على مفهوم الحكم والإدانة (١٤:١-١٢). ربط هذا المفهوم بـ «ربوبيّة» يسوع. فالضعفاء والأقوياء هم خاصّة الربّ يسوع؛ بالتالي لا يمكن احتقار أو إدانة بعضهم بعضاً، لأنّ صاحب السلطة هو وحده الذي يدين.

أمّا مضمون الإدانة في النص الذي يستوقفنا فيرتبط من جهة بمبدأ عدم تشكيك الأخ، ومن جهة أخرى بالتناغم بين اعتقاد المؤمن الذي يستخلصه من الايمان وبين العمل الذي يقوم به. فمبدأ عدم تشكيك الصغار (الضعفاء) أساسيّ يتجذّر في تعاليم يسوع.

والتناغم بين القناعات الايمانيّة والأعمال يطال الفئتين. من جهة الأقوياء، فإنّهم ليسوا مدعوّين إلى إلغاء حرّيتهم بقدر ما هم مدعوّون إلى المحافظة على الأخ الضعيف. أمّا من جهة الضعفاء فقد يحاولون التماثل بالأقوياء وأكل ما يعتقدونه نجساً (وهو بالتالي نجس بالنسبة إليهم) : هذه خطيئتهم وخطيئة الذين مهّدوا لهم لارتكاب هذه الخطيئة. «طوبى لمن لا يحكم على نفسه في ما يُقرّر».

ب - النجاسة والطهارة

يتبنّى بولس مضمون ما يعلنه الأقوياء : لا شيء نجس في ذاته، كلّ شيء طاهر، وبالتالي يُمكنهم الأكل من كلّ شيء. لكنّه يُذكّرهم أيضاً بما يُعلنه الايمان المسيحي عامّة : السلوك بحسب المحبّة. وبين هذين المعتقدين يدعو بولس الأقوياء إلى جعل المحبّة تسمو على اعتقادهم «الطعامي». «من السوء أن يأكل الانسان بمعثرة»؛ بالمقابل، حسنٌ أن لا تقوم بشيء يعثر به أخوك. هذه هي الطهارة، وتلك هي النجاسة.

ج - السلام والبنيان

يظهر السلام الذي هو من جوهر ملكوت اللّه، كأساس لبُنيان الجماعة المسيحيّة وتوطيد العلاقات فيها. إعطاء الأولويّة لعيش السلام من قبل الأقوياء يجعلهم يتخطّون مسألة الطعام من أجل مواصلة عمل المسيح. فالمسيح الذي مات من أجل الأخ سلّم الجماعة مهمّة مواصلة عمله الخلاصي تجاهه. على أساس هذا الاختيار الكريستولوجي تأتي توجيهات بولس بشأن السلام والبنيان : مهما عظمت أهميّتها، تفقد مسألة الطعام والشراب حدّتها أمام الهدف الجوهري للحياة المسيحيّة.

د - عمل الانسان وديناميّة الثالوث

هناك احتمالان لفهم اسم الاشارة «هذا» في الآية المحوريّة : «فمن في هذا يخدم المسيح فهو مرضيّ لدى اللّه وممدوح لدى الناس». يمكننا أن نرى أنّ المُشار إليه هو «المسلك»، بمعنى مَن يخدم المسيح بهذه الطريقة...؛ أو «الروح القدس» الذي به تنتهي الآية السابقة، فيُصبح المعنى : مَن في الروح القدس يخدم المسيح، فهو مرضي لدى اللّه وممدوح لدى البشر. نتبنّى نحن القراءة الثانية التي تجعل من هذه الآية المحوريّة آية ثالوثيّة-بشريّة تُلخّص جوهر الحياة المسيحيّة الذي هو لقاء الثالوث بالناس. وتوجيه بولس «الأخلاقي» يربط عمل المؤمن بديناميّة الثالوث. فبالروح القدس الذي يمنح البرّ والسلام والفرح يُخدَم المسيح وجسده الكنسي حتى يُصبح العمل موافقاً لجوهر اللّه الذي هو محبّة. إنّه أسمى عمل يُقام في الانسانيّة.

خاتمة

من الإدانة وتحديد الخطيئة إلى تحديد مفهوم النجاسة والطهارة، إلى بنيان الملكوت، وصل بولس إلى التوجيه الذي هو في أساس اللاهوت الأخلاقي (المسلكي)، ألا وهو العمل ضمن ديناميّة الثالوث.

من جهة أخرى، لن ننسى أنّ هذا النص هو من الكتاب المقدّس، أي من الكتب القانونيّة التي هي في أساس إيماننا. قد نلاحظ ربّما أنّ المشكلة المطروحة في أيّام بولس لا تعنينا اليوم. أساس إيماننا لا يرتكز على كيفيّة حلّ المشكلة بقدر ما يرتكز على المبدأ الايماني اللاهوتي المُستعمل في طريقة حلّ المشكلة. هذا المبدأ «الثالوثي» المُطلق يُشكّل مفتاحاً لمشاكل مسلكيّة تُعرض علينا اليوم في واقعنا.

الأخت باسمة الخوري الأنطونيّة

مقدمة

تأخذ الارشادات الأخلاقيّة والحياتيّة حيّزاً كبيراً في رسائل العهد الجديد عامّة وفي رسائل القدّيس بولس خاصّة. فكما هو معلوم يركّز القدّيس بولس في كلّ رسائله على عرض المبادئ اللاّهوتيّة من جهة، وعلى كيفيّة تطبيقها عمليّاً، بحيث يحيا المسيحي «لابساً» الربّ يسوع المسيح، و«عاملاً ضمن الجماعة إلى ما غايته السلام والبنيان المتبادل»، فيسبّح الجميع «اللّه أبا ربّنا يسوع المسيح بقلب واحد ولسان واحد».

لا تخرج الرسالة إلى الرومانيّين عن هذه القاعدة. لقد كتب بولس هذه الرسالة، وكان قد عاش خبرة رسوليّة طويلة وناضجة. لقد اختبر الافراح والصعوبات التي تواجه مَن يحمل بشرى الانجيل، فوصل إلى قناعة الضمير المرتاح، لأنّه قام بواجبه على أكمل وجه؛ «فمن أورشليم وفي نواحيها إلى إليريكون أَتْمَمْتُ القيام ببشارة المسيح» (روم ١٥:١٩). لقد أوصل الرسالة إلى شرق الحوض المتوسط، وترك لتلاميذه مهمّة إكمال العمل. إنّه الآن يحلم بحقل عمل جديد : «أمّا الآن، و لم يبقَ لي مجال عمل في هذه الأقطار، وأنا منذ عدّة سنين مشتاق إلى القدوم إليكم، فإذا ما انطلقت إلى أسبانية...، فإنّي أرجو أن أراكم عند مروري بكم» (١٥:٢٣).

فبولس إذاً لم يكن قد زار روما بعد عندما كتب هذه الرسالة. ليس هو مَن أسّس كنيسة روما؛ إنّه بالأحرى يكتب لكنيسة يبدو أنّها قد تأسّست منذ فترة ليست قصيرة، وأصبحت معروفة من كلّ الكنائس المنتشرة في الامبراطوريّة الرومانيّة، خاصّة وأنّها في العاصمة. لكن المشاكل لم تكن تنقصها، وقد عرف بها بولس أثناء وجوده في قورنتس، فأراد المساهمة في حلّها من خلال رسالة كتبها أثناء وجوده في قورنتس سنة ٥٧-٥٨.

تتعلّق المشاكل المطروحة في هذه الجماعة الرومانيّة بالتعايش الأخوي بين المؤمنين المسيحيّين من أصل يهودي، وبين مَن هم من أصل وثني. فالرسالة تلمّح مراراً إلى الثنائية يهودي-وثني (١٤:١-١٦؛ ٤:٩-١٢؛ الخ). يجهد الرسول في إيصال قناعته إلى مؤمني روما بأنّ القبول الأخوي هو أساس جماعة المسيح : «فتقبّلوا بعضكم بعضاً كما تقبّلكم المسيح لمجد اللّه. وإنّي أقول إنّ المسيح صار خادم أهل الختان ليفي بصدق اللّه ويثبت المواعد التي وعد بها الآباء. أمّا الوثنيّون فيمجّدون اللّه على رحمته» (١٥:٧-٩).

وضع كنيسة روما الاجتماعي

كما في كلّ مدن الامبراطوريّة الرومانيّة الكبيرة، كان اليهود يشكّلون جالية مهمّة في روما، ومن المؤكّد أنّهم شكّلوا النواة الأولى للجماعة المسيحيّة التي نمت وكبرت في ما بعد. وقد انضمّ الوثنيّون إلى هذه الجماعة في فترة لاحقة وبأعداد من الصعب تحديدها. ولكن اليهود تعرّضوا للطرد من روما سنة ٤٩، على أثر المرسوم الذي أصدره الامبراطور كلوديوس (أع ١٨:١-٢)، ممّا أثّر على اليهود الذين آمنوا بيسوع، فتركوا المدينة هم أيضاً، فيما بقي المسيحيّون من أصل وثني. صحيح أن المرسوم توقّف بعد زمن، واستطاع اليهود أن يعودوا إلى مدينتهم، ولكن الأحوال تغيّرت، فأصبح التعايش صعباً وهشّاً، وظهر خطر عدم القبول بين الفئتين، بحيث أرادت كلّ فئة أن تحيا

الفئة الأخرى بحسب قوانينها وطريقتها. لقد أصبحت الكنيسة الرومانيّة تواجه خطر الانقسام إلى جماعتين، تنحدر الأولى من أصل يهودي، وتمارس إيمانها بيسوع محافظة على شريعة موسى التي تغلق الباب في وجه كلّ وثني راغب بالانضمام إلى جماعة المسيحيّين، والأخرى تعود إلى جذور وثنيّة قطعت كلّ الروابط بينها وبين المسيحيّين من أصل يهودي. إنّ خطراً كهذا ليس بسيطاً، لأنّه قادر على نسف أهمّ الأسس للحياة الكنسيّة.

إنّ مواضيع الرسالة إلى الرومانيّين مشابهة لما نقرأه في الرسالة إلى الغلاطيّين، لكن الأولى تتميّز بأسلوبها الهادئ: ليس الكاتب طرفاً في النزاع، وبالتالي فهو يكتب بطريقة موضوعيّة منطقيّة، فيعرض المشكلة المحدّدة في الزمان والمكان، ويعطي حلاً لاهوتيّاً يصح لكلّ زمان ومكان.

١ - «مَن أنت لتدين خادم غيرك!» (٤:١٤)

تشكّل روم ١:١٤-١٣:١٥ قسماً واحداً ضمن الرسالة إلى الرومانيّين، يعالج فيها القدّيس بولس مشكلة علاقة «القوي بالضعيف» داخل الجماعة الكنسيّة الواحدة. والأمور المطروحة لا تبدو جديدة أو خاصّة بالجماعة الرومانيّة؛ فمسألة الأكل أو عدم الأكل تظهر في ١ قور ٢٣:١٠-٣٣ وغيرها؛ ومسألة تمييز الأيّام نجدها في غل ١٠:٤؛ كول ١٦:٢، ١٧؛ وتدين كول ١٦:٢، ٢٠-٢٣ بقسوة كبيرة المغالاة في مراعاة النواحي المتعلّقة بالأكل: «لا تأخذ، لا تذق، لا تمسّ»، ويخاف من أن يكون قد «أجهد نفسه عبثاً من أجلهم»، إذ يراهم قد عادوا إلى «الأركان الضعيفة الحقيرة» (غل ٩:٤). ويعطي بولس في كول ٢٠:٢، ٢٣ المعنى العميق لحرمان النفس من علاقتها مع المسيح: «أما وقد متّم مع المسيح عن أركان العالم، فما بالكم كما لو كنتم عائشين في العالم تخضعون لمثل هذه النواحي...؟ إنّها وصايا لها ظاهر الحكمة...، ولكن لا قيمة لها، لأنّها غير صالحة إلا لإرضاء الهوى البشري».

لا نجد هذه القسوة في الرسالة إلى الرومانيّين، بل نجد بولس يتكلّم بتفهّم وحنان، ممّا يعاكس موقفاً مغايراً عمّا اختبره في رسائله الأخرى: «تقبّلوا ضعيف الايمان» (١:١٤)؛ «من الناس مَن يميّز بين يوم ويوم، ومنهم من يساوي بين الأيّام كلّها. فليكن كلّ منهم على يقين من رأيه» (٥:١٤).

فإن كان المتهودون في الرسالة إلى الغلاطيين يحاولون تغيير جوهر الانجيل بتبشيرهم بضرورة المحافظة على الشريعة اليهوديّة ومراعاة الأيّام والفصول كضرورة أساسيّة للتبرير، وإن كان أصحاب البدع في كولوسي ينشرون الأفكار الغنوصيّة المنادية بأنّ التبرير الروحي يمرّ بالمادة، بحيث يجبرون الناس على التقشف والحرمان، وعلى عبادات الأرواح والملائكة كوسطاء بين الناس والله، فإنّ الإطار في الرسالة إلى الرومانيين يختلف تماماً. إن المشكلة ترتبط بعبادات وتقاليد المؤمنين المتحدّرين من أصول مختلفة[1].

في محاولته لحلّ هذه المسألة، يتوجّه بولس أوّلاً إلى الأقوياء في الايمان، وهم الذين وصلوا إلى حالة من النضوج الروحي، فهموا من خلاله أنّ المؤمن إنسان حرّ، يستطيع أن يحيا بحسب قناعات ضميره، متحرّراً من الشرائع الضيّقة. من هؤلاء يطلب بولس قبول ضعيف الايمان الذي «لا يأكل إلا البقول»، و«عدم مناقشة آرائه»، بحيث لا يفسد الواحد فكر الآخر، وتكون الآراء المختلفة سبباً للخلاف، بل الأحرى أن يحترم الواحد فكر الآخر، لأن القوّة لا تكمن في كيفيّة العيش، «الأكل أو عدم الأكل»، بل بالقبول المتبادل دون «ازدراء» ولا «إدانة».

من هنا نجد أنّ بولس، بعد أن توجّه أوّلاً إلى الأقوياء، يتحوّل سريعاً إلى الفئتين ليطلب من الجميع وبالقوّة عينها أن يقفوا أمام الله، ويعودوا إلى إيمانهم الحق، فيتذكّروا أنّ الله هو الديّان الأوحد، وهو مَن سيحاسب كلاً بحسب قناعات ضميره وبحسب محبّته. وبالتالي فإنّ من يبتسم ابتسامة الازدراء بوجه مَن لا يأكل، لا يختلف عمَّن يطلق الاتّهامات دائماً مَن يأكل. إنّ التبرير يأتي من الله وحده، وله وحده يقدّم الجميع أعمالهم وعباداتهم.

إنّ الله قد تقبّل الضعيف كما القوي، ولهذا يصرّ بولس على الطلب من الجميع أن يقبلوا بعضهم بعضاً. فإن كان الله قد تقبّل بمحبّته مَن يأكل، فكيف

١- يمكن أن نفهم من مسألة الأكل أنّ الوضع مشابه لما نقرأه في ١ قور ٨ حيث يعالج بولس مشكلة اللحوم المقدّمة للأصنام، وإن كان يحلّ للمسيحيّين أكلها. لكن من يسمّيهم بولس الضعفاء في روم ١٤ يختلفون عن المذكورين في ١ قور ٨، بحيث لا نجد في روم ١٤ ذكراً لأي أكل وشرب مقدّمين للأصنام؛ ولا نجد في ١ قور أبداً موضوع التمييز بين الأيّام؛ كما وان المعيّنين في روم ١٤ لا يأكلون إلاّ البقول. إنّ الوضعين مختلفان تماماً.

يمكن لإنسان رفض ما قبله اللّه؟ وهل نحن أقدس من اللّه؟ «إنّه سيثبت لأنّ اللّه قادر على تثبيته» (١٤:٤). فإن كان ربّ البيت هو المسؤول الأوّل والأخير عن ثبات خدمه، بغضّ النظر عن رأي باقي الخدم؛ فإنّ ربّ الكنيسة هو المسيح، وهو بالتالي القادر وحده على تثبيت أيّ مؤمن كان، فلا يجوز إذاً لأيّ خادم أن يدين خادماً آخر بحسب قوانينه الخاصّة، بل يجدر به التعامل مع أقرانه بحسب سيّده فقط، أي في إطار العلاقة مع المسيح. في روم ١٤ ينظر «الضعيف» إلى ممارسة «القوي» لحريته وكأنّها خيانة للمسيح، وبالتالي كأنّها طريق للهلاك، فيعلن الرسول أن هذا المنطق خاطئ تماماً، لأنّه يجب أن يكون معكوساً، بحيث يكون قبول المسيح للمؤمن هو الأساس وليس الممارسات، «لأن الربّ قادر على تثبيته». إن قدرة المسيح هي وحدها القادرة على التثبيت.

ويتطرّق بولس إلى نوع آخر من الممارسات، وهي المتعلّقة بمراعاة تمييز الأيّام: «من الناس مَن يميّز بين يوم ويوم، ومنهم مَن يساوي بين الأيّام كلّها» (١٤:٥)، فيعتبر أنّ «الضعفاء في الايمان» يراعون حتى الآن التمييز بين أيّام وأخرى، لأنهم لم يعوا بعد ما ترتّب على الانتقال من العهد القديم إلى العهد الجديد من حرّية. ولكن، مع ذلك، يجب على الأقوياء قبولهم: «فليكن كلّ منهم على يقين من رأيه»، لأنّ كلّ مؤمن يعمل بما هو مقتنع أنّه إرادة اللّه عليه، وكلّ عبادة مرتبطة بالرب وحده (١٤:٦-٨)»[٢]. من هنا، فإنّ مَن يأكل يشكر اللّه على عطاءاته الكثيرة، كي يكون الانسان مكتفياً فرحاً، فهو إذاً يأكل طاعة لإرادة اللّه الذي قدّم له المآكل، وشكراً له وبركة، لأنّه قدّس كلّ المآكل بخلقه إيّاها لخدمة الانسان[٣]. ولكن خدمة اللّه هي أيضاً قناعة «الضعيف الذي لا يأكل»: «مَن لا يأكل من كلّ شيء، فللربّ لا يأكل، وهو يشكر اللّه على «البقول» المقدّمة له لشبعه.

إنّ المؤمن، أيّاً كان أصله، يحيا للرب وليس لذاته (١٤:٧)، وكلّ ما يقوم به في حياته هو لمرضاة الرب بحسب ما اختبره بيسوع المسيح. فالمسيحي لا يعرف إرادة اللّه إلا من خلال إيمانه بالرب يسوع وطاعته له، وكل تصرّف بالتالي يحب أن يكون تكملة لإرادة الربّ، بحيث يكون الموت عينه تتميماً لإرادة الرب، وتكملة لحياة الطاعة التي يحياها المؤمن، بحيث لا يقطع الموت هذه الحياة، بل يتمّمها: «سواء حَيينا أم مُتنا، فإنّنا للرب» (روم ١٤:٨).

هنا أيضاً يكمن الجوهر في قناعة المؤمن وليس في الممارسات، لأنّها تعبير عن القناعة، وليست هي الجوهر الذي يكمن في العلاقة مع المسيح وفي التكرّس له: «اننا للرب»[٤].

إنّ في ازدراء القوي للضعيف، وإدانة الضعيف للقوي، تعدّياً على مسؤوليات الربّ وخصوصيّاته. كلّنا سنقف أمام الربّ للمحاكمة، وكلٌّ منّا سيؤدّي حسابه، ليس لأنسان آخر بل للّه نفسه؛ فالأحرى بكل مؤمن أن يُحاسب ذاته بنفسه على ضوء ما سيؤدّي أمام اللّه.

٢- المحبّة على مثال المسيح هي الشريعة الأولى والأخيرة (١٤:١٣-٢٣)

من أجل حلّ الخلافات الناجمة عن الاختلاف في الرأي، يسعى الناس عادة إلى تقليص مسافة الخلاف بين الآراء، بحيث يصل المختلفون إلى نقطة واحدة يتّفقون عليها فيزول الخلاف. إنّها طريق المنطق والحكمة. لكن الأخلاقية المسيحيّة لا تؤدي إلى الحكمة المنطقيّة بين المختلفين. إنّ المحبّة التي تخلق الروابط هي التي تربط بين الإرادات المختلفة. إنّ ذبيحة المسيح المرتكزة على محبّته الكاملة هي الشاهدة على أنّ قوّة المحبّة هي التي تعطي لكلّ إنسان حقّه في حريّة ضميره ومسؤوليّته: في هذا يكمن احترام الانسان كإنسان.

من هنا يعود بولس في هذا القسم (١٤:١٣-٢٣) للتوصية بالمحبّة تجاه مَن يخالفني الرأي، خاصة إن كان أخاً ضعيفاً لا يستوعب معرفتي. إنّ خطيئة «قويّ الايمان»، بحسب القديس بولس، هي في تسبّبه بصدمة أو عثرة لأخيه «الضعيف». فإنّ القويّ، بعدم تنازله

٢- في بعض الرسائل الأخرى (غل ٤:١٠، ١١؛ كول ٢:١٦، ١٧) يدين بولس مراعاة الأيّام بسبب ارتباطها ببعض البدع. لكن هذه المراعاة لم تكن ترتبط في كنيسة روما بأي بدعة؛ من هنا فإنّ بولس يردّد في روم ١٤:٦ عبارة «في الربّ»، وفي ذلك تأكيد على ارتباط كل الممارسات المختلفة في كنيسة روما بعبادة الربّ يسوع وبخدمته وحده.

٣- أنظر ١ تيم ٤:٤، ٥؛ متّى ١٥:٣٦؛ أع ٢٧:٣٥؛ ١ قور ١٠:٣٠.

٤- لقد غيّرت هذه القناعة نظرة بولس للموت، فلا يتكلّم عنه كقصاص عن خطيئة أو كعدو انتصرت عليه القيامة (٢ قور ٥:٤؛ عب ٢:١٤، ١٥)، بل ينظر إليه من خلال إيمانه بالمسيح الذي مات، ومن خلال رجائه بالحياة التي سيعطيها بقيامته. لقد أصبح الموت لا قصاصاً بل اشتراكاً في موت المسيح، ممّا جعل بولس يتمنّى «الرحيل ليكون مع المسيح» (فيل ١:٢٣).

عمّا هو سبب عثرة للضعيف، يضع حاجزاً أمام قناعاته الدينيّة.

إنّ الأخ «الضعيف» مؤمن بأن بعض المآكل والمشرب مرتبط بشكل ما بالشرير؛ فاستعمالها إذاً يتناقض والأخلاقيّة المسيحيّة؛ فيما يعرف «القوي» علم اليقين، وذلك استناداً على قول الربّ يسوع بأن «لا شيء نجس بحد ذاته» (مر ٧:١٥؛ لو ٦:٤)، ممّا يسمح له بأكل كلّ شيء، وبولس أكيد من هذا الأمر ويوافق عليه تماماً. ولكن الأحرى بـ «القويّ» مراعاة قناعات الأخ «الضعيف» بغضّ النظر عن قيمة الأشياء. فإن تكن الأشياء غير نجسة بحد ذاتها، لا يعني أنّها حلال للجميع. فعلى كلّ مؤمن مراعاة قناعات الآخرين: «نحن نعلم أن لا وثن في العالم، وأن لا إله إلاّ اللّه الأحد» (١ قور ٨:٤، ٧)، ولكن يجب أن نعرف أن «المعرفة ليست لجميع الناس»، فالاختلاف هو إذاً بين المنطق الموضوعي والقناعات الشخصيّة. فإنّ في حزن الضعيف لتصرفات القوي خرقاً من قبل الأخير لقاعدة المحبّة. ولربما ظنّ القوي أنّ في تصرّف الضعيف عدم احترام لحريّته، وهذا مُحقٌّ. فيؤكّد بولس أنّه، أمام هذا الموقف، يبقى «على القوي أن يحمل ضعف الضعيف» (روم ١٥:١-٢)، «وليسعَ كلّ واحد منّا إلى ما يطيب للقريب في سبيل الخير»، خاصّة وإن خطيئة الأقوياء بتشكيكهم ضمائر إخوتهم تؤدي بهؤلاء الإخوة إلى الهلاك الروحي والأخلاقي. إن الضعيف يحزن إن تشكك ضميره وقناعاته الدينيّة.

فبسبب ضعفه، يمكن للضعيف أن يتبنّى ممارسات القويّ دون اقتناع، ممّا يؤدّي به إلى الهلاك، لأن «كلّ شيء لا يأتي عن يقين هو خطيئة»[٥].

وبربطه هذه النتائج بموت المسيح، يذكّر بولس الأقوياء بأمرَين: محبّة المسيح للضعفاء، وتخلّي المسيح عن حياته في سبيلهم. فكم يجدر بالقوي أن يتخلّى عن بعض المآكل والمشروبات وعن بعض الممارسات في سبيل مَن جاد المسيح بنفسه من أجلهم! «فإن حَزِن أخوك بتناولك طعاماً، فلم تعد تسلك سبيل المحبّة»، فهلاك الضعيف إذاً سيطال القوي أيضاً، لأنّه لم يسلك في المحبّة. فإن كان من حق القوي أن ينعم بممارسة حريته بحسب قناعاته الدينيّة، فإن كان في هذه الممارسات هلاك للآخرين، يتحوّل الشكر للّه طعناً بعطاياه، وهذا ما لا يجوز. «إنّ ملكوت اللّه برّ وسلام وفرح بالروح القدس»، وعليه فإنّ على المؤمنين أن يعيشوا هذه الصفات كي يظهروا أنّهم أبناء هذا الملكوت (يو ٣:٣-٨؛ ١ تس ٢:١٢). إنّ تحوّل المأكل والمشرب إلى الهمّ الأوّل يعني ابتعاد المؤمن تماماً عن أولويات ملكوت اللّه، وابتعاد مسلكه عن الشكر الذي يؤديه للّه (رج متّى ٦:٣١-٣٣). إنّ المطلوب من المسيحيّين هو أن يحيوا «السلام والبنيان المتبادل»، أي بنيان الوحدة والتناغم في العلاقات بين بعضهم البعض، فلا تتسبب الممارسات اليوميّة بهدم هذا البنيان.

ويطلب بولس من الأقوياء عدم نشر معتقداتهم والتبشير بها: «أما يقينك فاحفظه في قرارة نفسك أمام اللّه»، لأن حريّة أبناء اللّه، وإن كانت حقاً مُكْتَسبًا لهم، يمكن أن تكون سبب عثرة للإخوة.

وهكذا يشدد بولس مرّة أخرى على أن التصرف بحد ذاته ليس خطيئة، لأن ما يعطيه المعنى هو قناعة من يقوم به. فالقوي الذي يتصرّف بحريّة بحسب قناعته يأخذ الطوبى من اللّه (١٤:٢٢)، في حين يدان الضعيف الذي يتصرّف بحريّة ضد قناعته (١٤:٢٣).

٣- «لتمجّدوا اللّه... بقلب واحد ولسان واحد» (١٥:١-١٣)

يضع بولس نفسه في خانة الأقوياء داعياً إيّاهم للتعلّم من الكتابات المقدسة ومن المسيح يسوع الذي تصرّف في حياته الأرضيّة بحسب إرادة أبيه لخير الانسانيّة وليس لمصلحته الخاصّة، فجعل من ذاته قدوة للتصرّف أمام المؤمنين.

لقد جعل الربّ يسوع من خلاص الناس بحسب إرادة الآب أولى اهتماماته رغم التعييرات (مز ٦٩:١٠)، فلنا فيه القدوة والقوة، خاصة وأن الكتب المقدسة تشددنا في ذلك لنحيا جميعاً الرجاء. إنّ اللّه هو إله الثبات وهو القادر على إعطاء هذه النعم لجميع المؤمنين، أقوياء وضعفاء، فيتفق الجميع على تمجيده «بقلب واحد ولسان واحد». إنّ إنجيل المسيح قادر على اسقاط كلّ الحواجز، وعلى جعل المؤمنين المختلفين جماعة واحدة.

٥- «فلا تهلك». إنّها إحدى النتائج الخطيرة التي تنجم عن تشكيك ضمير الأخ الضعيف (متّى ١٠:٢٨؛ ١٨:١٤؛ لو ٩:٢٥؛ ١٣:٣؛ يو ٣:١٦؛ ١٠:٢٨؛ روم ٢:١٢؛ ا قور ٨:١١؛ ١٥:١٨؛ ٢ قور ٤:٥؛ ٢ بط ٣:٩).

البيت غازو الماروني

«يفتح باباً واسعاً للعمل» (١ قور ١٦: ٩) أمام البحاثة البيبليين

الأخت ماري–لويز شهوان

البيت غازو الماروني ١٤٧٠١. Add، (١٢٦٣م)، قدم له وترجمه الاباتي يوحنا تابت، جزءان، ١، ٢، - الكسليك - لبنان، ٢٠٠٠.

تمهيد

« يفتتح هذا الكتاب، في جزئيه، سلسلة جديدة من منشورات معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس – الكسليك – هي «سلسلة مصادر الليتورجيا المارونية (١)». والغاية من هذا المشروع انما هي نشر أقدم النصوص الليتورجية المارونية، ووضعها في تصرف الباحثين، اللاهوتيين... لكي يطالعوها ويستخلصوا منها الحقائق الموضوعية والثوابت... التي ميزت تقليد الكنيسة المارونية وشخصيتها».

هكذا جاء في تعريف قدس الاباتي يوحنا تابت بهذا الكتاب، وهو مخطوط ماروني، من القرن الثالث عشر.

انه هدية أخرى يقدّمها صاحب الترجمة إلى منشورات معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس – الكسليك، وإلى طلاب المعهد، وهو مؤسسه، وإلى محرري وقرّاء البيبليا، حتى يكتشفوا ببحثهم الجدي، ومن خلال مثل هذه الكتب، ذخائر الاجداد، وقد أخرجها دائما «جددا وقدما» بتنقيبه المستمرّ الجدي والعلمي.

من الناحية الليتورجية، هو يغنّي الكتابَ المقدس في السنة الطقسية: من زمن الميلاد الى زمن الدنح، فالصوم، والآلام، والقيامة، والصعود، فالعنصرة. ثم سلسلة أعياد تمرّ خلال السنة الطقسية.

كل فرض يتضمّن فقط لحن البخور ومزمور القراءات فالباعوت. كلها صلوات مجبولة «بالبيبليا»، مشبعة من معانيها، مسبوكة ألحانا، غالبا ما يختلط فيها النص الليتورجي بالمرجع الكتابي.

للتعريف العلمي بالمخطوط، اتبع الاباتي تابت منهجيته الواضحة المألوفة، فجاءت المقدّمة تشرح بإسهاب بعض «الامور التمهيدية» : تسمية المخطوط، وصفه الدقيق، مضمونه المفصل بدقة، هويته، أخيرا منهجية العمل الشاق والشيّق التي اتبعها الاباتي تابت. وهنا لا بد أن نشكره على الوضوح في الترجمة، وعلى إثباته النص السرياني الأصلي، وعلى الدقة والأمانة في أداء معاني النصوص السريانية.

لذلك نرى ان في إطلاق «سلسلة المصادر الليتورجية المارونية (١)» بالعموم، وفي ترجمة وتقديم المخطوط المذكور بالأخص، إنجازا خيّرا يغني الليتورجية المارونية ويكشف كنوزها اللاهوتيّة والآبائية و«البيبلية».

«بيبلية المخطوط» او البيبليا في «البيت غازو الماروني»

١ – الاسفار الواردة

يتضمن هذا المخطوط (المطبوع) عددا كبيرا «من اسفار الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد : هناك ذكر مستمرّ وخاص لسفر التكوين (على سبيل المثال، يُذكر هذا السفر ٢١ مرة). أما سفر الخروج، فلا يقل عددا عنه (٢٠ مرة، خاصة في اثنين الآلام وعيد القيامة).

لسفر المزامير أهمية كبرى (يذكر ٢٩ مزموراً)، كذلك لسفر أشعيا الذي يرد ١٢ مرة، خاصة في أعياد الميلاد، ودخول المسيح إلى الهيكل، وعيد العذراء. كما ترد الاسفار الباقية : نشيد الاناشيد، الملوك الاول والثاني في فرض عيد مار الياس (خاصة)، حزقيال، دانيال (يأتي في فرض الصوم)، ارميا، زكريا، العدد، صموئيل، الامثال، وأخيرا سفر المكابيين في فرض شموني الشهيدة...

هذا بالنسبة إلى العهد القديم، أما العهد الجديد، فالاناجيل تتصدر كل فرض :

يرد انجيل متى ٤٥ مرة في المخطوط، مرقص ٢٧ مرة، لوقا ٢٥ مرّة، ويوحنا ٢٧ مرّة، الى جانب رسالة مار بطرس الاولى وسفر الرؤيا. اما رسائل مار بولس فَتَرِدُ ٣٧ مرّة. وقد بلغ عدد الاستشهادات من العهد الجديد ١٦٣ مرّة. وبالجملة فقد ورد اسم ٣٣ سفراً» من الكتاب المقدس في هذا المخطوط !

٢ - نماذج

يضم البيت غازو ٥٤ فرضا. من النصوص اللافتة والصور الكتابية، فرض الشعانين : يرتكز أولا على إنجيل متّى ٢١:١-١١ حيث يصف باسلوب شعري وعفوي دخول الرب الى أورشليم ظافراً راكباً جحشاً ابن آتان، وهو مسبَّح ومزيح من الاطفال الابرياء، وبأيديهم سعف النخل والزيتون، يلوّحون بها ويصرخون «الهوشعنا لابن داود» :

«في هذا العيد،
هوشعنا
قد رتّلت جموع الاولاد والفتيان
امام مخلّصنا، وهو داخل
إلى أورشليم، راكبا جحشا،...
اليوم اكتملت
بالفتيان الذين يمدحونه
بالزيتون والنخل الذي في أيديهم ...»

ثم ينتقل النص، في باعوت مار يعقوب، إلى دعوةِ الانبياءَ، وهم في قبورهم، ليستيقظوا ويقوموا يلاقوا الرب بسرعة...

- «سار مخلّصنا ومعه جوق التلاميذ،
وبلغ ووصل إلى بيت عنيا وإلى بيت فاجي
(لو ١٩:٢٩).

صفّقت روح الأنبياء من قبورهم،
وقالت لهم: قوموا من هنا، يا أنبياء الرب.

- استيقظوا وقوموا من قبوركم بسرعة،
وشاهدوا ذاهلاً قد حدث في جبل الزيتون».

ثم يصور صاحبُ النص يعقوبَ الشيخ (تك ٤٩:١٠-١٢) آتياً من العهد القديم الى بيت عنيا، ينادي لعازر الذي أقامه الرب من الاموات، لكي يُخرج الحمار ويلاقي يسوع :

«أسرعَ - في البدء - يعقوبُ الشيخ،
فوصل الى بيت عنيا،
ورفع صوته، ودعا لعازر،
وقال له :
- يا لعازر أَخرِج الحمار المقيّد بالكرمة،
وبالغصن ابن الأتان، كما تنبأتُ.
إن حبيبك يسوع، ذلك الذي
أقامك من بين الاموات
ها هو يطلبه ليركب عليه ويدخل
إلى صهيون».

هنا تختلط النبوءَة بالانجيل: شيخ من العهد القديم ينادي شاباً من العهد الجديد، يجمعهما حدث واحد، هو دخول المسيح الى مدينته، ظافراً ومتواضعاً، راكباً جحشاً، والانبياء تهبّ من قبورها لتلاقيه، وأطفال أورشليم تسبّحه...

ومن الأمثال العديدة الواردة في الفروض، مَثَلَ إيمان توما في فرض الأحد الجديد. يُقرأ انجيل يوحنا ٢٠:٢٤-٢٩. تتمحور الالحان حول ايمان توما خاصة بعدما رأى جراحات المسيح ومسَّها. واللافت إنما هي المقارنة في باعوت مار يعقوب بين يوسف (في العهد القديم) الذي بيع إلى مصر (تك٣٧:٢٨)، وذهاب توما إلى الهند ليكرز بالمسيح. يقول نص مار يعقوب :

«- تعالَ، يا توما، كن رفيقا ليوسف
الذي بيع،
والذي، بدل الجبّ، صعد الى
الشرَف والمركبة .
تعالَ اذهب إلى الهند، كما (هو) الى مصر،
واكرز هناك،
بأنه سيكون جوع، لا الى الخبز، بل إلى الكلام».
فذاك (يوسف) عَظَّمْتُهُ بعد أن فسّرَ
الأحلام لفرعون (تك ٤٠)؛
أما أنت، فسأُعَظِّمُكَ بعد موتك».

هذه مقارنة أخرى، تعتبر واحدة من عشرات المقارنات بين شخصيات العهد القديم والعهد الجديد. بالنسبة إلى الكاتب المرنم، فإنّ رموز وصور وشخصيات العهد القديم حاضرة في ذهنه، يعايشها فتأتي المقارنة عفوية ومباشرة.

٣ - الحضور الكتابي

نكتشف، من خلال النصوص والامثال والرموز العديدة الواردة في «البيت غازو الماروني»، معرفة آبائنا الموارنة وكافّة آباء الكنيسة معرفة عميقة ودقيقة بالكتاب المقدس، والتناغم بين الفكرة الآبائية وبين الكتاب المقدس، بحيث يمتزج نصهم بنص «الكتاب»

بأسلوب سهل دون تكلّف أو تفتيش أو تصنّع. لم يفتش آباؤنا على المرجع الكتابي، بل ردّدوه كأنهم حافظين الاسفار غيباً. هذا ما يدل على أنهم كانوا متمرسين فيه. قرأوه، عاشوه، تأمّلوا بعمق ثم ألّفوا بمعرفتهم الكتابية وبصلاتهم. كانت كلمة الله تخزّ في نفوسهم «كالحبلة» على خرزة البئر، فتحدث فجوة في الحجر لا تمحى، كما تغني الليتورجية وتطبعها بالطابع الكتابي.

٤ – العراقة بالعهد القديم

لا بد من التنويه بالعراقة في الطقس الماروني التي تمد جذورها الى العهد القديم خاصة؛ فان عدد الاستشهادات من العهد القديم فقط تبلغ ١٢١ مرة. هنا يحضرنا مقطع من مقالة الأباتي يوحنا تابت في مجلة «نور وحياة»، عدد خاص، سنة ١٩٧٤ : **كيف أقرأ العهد القديم**، صفحة ٤٥.

«... لا بد من التحدّث عن تداخل العهد القديم في نصوصنا الكنسية تداخلاً يستحيل أحيانا كثيرة معه فهم النص دون العودة إلى أجواء العهد القديم. وهذا يعني أنه كانت لآبائنا وأجدادنا معرفة عميقة ودقيقة بأسفار العهد القديم خوّلتهم الانتقال بعفوية غريبة والاستشهاد بها واستعمالها..».

هذا يدلّ على أن آباءنا الموارنة أدركوا قيمة العهد القديم التي تنبع من علاقتها بالعهد الجديد. كما اكتشفوا التناغم بين القديم والجديد، وخاصة أن الثاني يكمّل الأول. فالأول يبدأ تاريخ الخلاص، والثاني ينهيه مع المسيح، والاثنان يفتتحان العهد الأسكاتولوجي.

«البيت غازو الماروني» الحالي ليس سوى واحد من عشرات المخطوطات لم تزل تنتظر ايدي المنقّبين، أمثال الاباتي تابت. فالصلوات الليتورجية المارونية، التي انطوت في ارشيف المكتبات أو الكتب الليتورجية التي صدرت بعد الاصلاح الحديث، تعود معظم نصوصها الى مثل هذه المخطوطات. وهكذا يواصل الأحفاد تراث الاجداد ...

أخبار بيبليّة

الدّكالوغ أو الكلمات العشر

نجد في البنتاتيكوس أو الأسفار الخمسة نصّين تشريعيَّين عن الكلمات العشر أو الوصايا العشر (خر ٢٠:٢–١٧؛ تث ٥:٦–٢١). المضمون هو هو، ولكن يختلف المدلول اللاّهوتي وتفسير الفرائض التي نجدها في هذين النصّين. نستطيع أن نقرأ هذين المقطعين خارج السياق الذي كُتبا فيه، لأنّهما يشكّلان مجموعتين تشريعيّتين مستقلّتين. من أين جاءت لفظة «دكالوغ» أو الكلمات العشر، مع أنّ الفرائض الموجودة فيه تتعدّى العشر؟ من مقاطع جُمعت في خطبة وجّهها اللّه إلى موسى على الجبل.

ترجمات الكتاب المقدّس

هناك عمل في ٦٨٥ ورشة من أجل ترجمة الكتاب المقدّس. في ٤٦٨ منها الترجمة جديدة كليّاً. وفي ما تبقّى هناك إعادة ترجمة بحيث يصبح النصّ معاصراً للقارئ. ونشير إلى أنّ الكاثوليك والبروتستانت يعملون معاً في ١٤٧ ورشة. نتذكّر اليوم أن الكتاب المقدّس موجود كلّه أو بعضه في ٢٢٣٣ لغة أو لهجة في العالم.

ابن الطيّب
الرسالة إلى الرومانيّين■

تحقيق أ. أيّوب شهوان

(تابع)

محروم من المسيح لأجل شعبه (٩:٣)

ومعنى V300a قوله : «أنا شخصي حَرَمٌ» (٩:٣)، وما بعده، لم يقله لا يقضي من المسيح، لكن قاله بسبب حرصه على قبول آخرين منه، وهذا يشبه قول موسى: «إن غفرت للشعب خطاياه»، وإلاّ فامحني من كتابك هذا الذي كتبت!» (خر ٣٢:٣٢)[٤٩].

واسم «المحرّم» يُقال على ضربين : على الشيء المميّز، كالقول بأنّ هذه القرية وكلّ ما فيها حَرَم للهّ[٥٠]؛ وعلى البُعد والاطّراح، كالقول بأنّ الذي لا يحبّ سيّدنا يسوع[٥١] المسيح يكون محرّماً (١ قور ١٦:٢٢)[٥٢]؛ وها هنا استعملها للتمييز؛ فكأنّه قال : «أنا أصلّي، وأحبّ من المسيح أن أكون قرباناً وذبيحة للّه عن بني اسرائيل».

اختيار إسرائيل وخطيئته (٩:٤-١٦)

[ولأن بني اسرائيل][٥٣] فكانوا يفخرون بالناموس والجنس والوعد (روم ٩:٤). ومضى الكلام في الناموس والوعد، وبقي الكلام في الجنس؛ فهو يتكلّم فيه ويخلط معه الناموس.

وكان اليهود يقولون : «إن كان بمراد اللّه جرى من المسيح ما جرى، فيجب أن يكون جميع ذلك لنا؛ فالوعد فينا كان؛ وإن أبعدنا نحن من هذه الخيرات، فإمّا أن يكون اللّه خان في عهده، والمسيح ليس بحق.

فالسليح يقول : «لن تسقط كلمة اللّه» (روم ٩:٦)، يريد: لم يكذب قول اللّه في عهده؛ فالعهد V300b كان لابراهيم (روم ٩:٩؛ رج تك ١٨: ١٠ و١٤) عموماً في الناس، وخصوصاً في نسله (روم ٩:٩)، والجميع كَمُل بالمسيح.

ولكيما يحقّق ذلك قال: «ليس كل مَن هو مِن اسرائيل (٩:٦ب)، [هو اسرائيل][٥٤]، أي لم يكن العهد للآباء لأجل أولادهم حسبُ، لكن ولمَن وافق تدبيرُه تدبيرَهم. ولهذا ترك السليح الاسم الذي من الجنسّ، وهو «يعقوب»، وأخذ الاسم الذي من الأمانة، وهو «اسرائيل» (روم ٩:٤، ٦، الخ). ولهذا قال : «ليس كلّ الذي من اسرائيل، هم من اسرائيل» (روم ٩:٦)، أي من جنسه؛ فترك اسم الجنس وأخذ اسم الوعد؛ فاسرائيل سُمّيَ بهذا الاسم من تدبيره وأمانته.

■ أنظر الجزء الأوّل من تفسير أبي الفرج عبداللّه ابن الطيّب لرسالة بولس إلى الرومانيّين، في **مجلّة بيبليا** ٦ (٢٠٠٠) ٥٧-٦٢.

٤٩- أنظر أيضاً: روم ٩:٣؛ رؤ ٢٠:١٢؛ دا ١٢:١؛ الخ.

٥٠- أنظر يش ٧؛ ٦:١٨؛ تث ٧:١-٢٠؛ ٢٠:١٣ي؛ ١ صم ١٥:٣؛ عد ٢١:٢؛ الخ.

٥١- V: «إيسوع»؛ يكتبها ابن الطيّب بهذه الطريقة تحت تأثير الاستعمال السرياني الشفهي، **اعمد**.

٥٢- أنظر التعليق على كلمة «محروم» في ١ قور ١٦:٢٢، **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (كليّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٩٢) ٧٨١؛ ع. دياب، «الحرام في سفر يشوع»، **مجلّة بيبليا** ٢ (١٩٩٩) ٧-١٧.

٥٣- V: في الهامش.

٥٤- V: في الهامش.

ومعنى قوله : «ولا كل الذين هم[٥٥] من نسل ابراهيم هم أولاده، لقول اللّه : إن بإسحق[٥٦] يُدعى لك النسل» (٩:٧؛ رج تك ٢١:١٢). فإن كان النسل يراعى، فقد ظلم اللّه إسمعيل (تك ٢١:٩-٢١)، حيث لم يَدْعُهُ[٥٧] زرعاً لابراهيم؛ فاللّه اطّرح إسمعيل واختار اسحق (تك ٢١:٨-٢١)، واطّرح عيسو[٥٨] واختار يعقوب (روم ٩:٣؛ رج ملا ١:٢-٣). وقال هذا ليُريَ أن انتخاب النعمة أجلُّ من انتخاب الطبع.

ولأن اليهود يرجعون فيرفعون الاستطاعة ويقولون : «لعلّ اللّه يتشدّد على مَن يريد ، ويرحم مَن يريد» (٩:١٨؛ رج خر ٤:٢١؛ ٧:٣؛ ٩:١٢؛ ١٤:٤ و١٧)، وليس لنا في نفوسنا تصرّف، فكأنّهم يقولون : إذا كان اللّه خلق الأخيار والأشرار V301a كما أراد، فما في أيدينا نحن شيء من الاختيار للخير والشرّ؛ فاللّه فاعل الجميع يُعطي الخير لمن يشاء، ويلقي الشرّ لمن يشاء (روم ٩:١٦).

حرية الله

(٩:١٩-٢٢)

فيقول الرسول : إذا كان الأمر على هذا أيضاً، فقد سقط الاعتراض في عموم الدعوة للشعوب، ولا اعتراض على اللّه (روم ٩:١٩-٢٠) ، ولا لكم وجه لكرمي في أنّي أدعو الشعوب لأنّني مقهور على ذلك. فاعتراض اللّه في ذلك مقاومة له.

وبالجملة، إذا كان الأمر على ما قلت، أيّها اليهودي، بأنّه ليس لك قدرة واستطاعة على تمييز الخير من الشرّ، فأنت كإناء الفخّار يقلبه كيف شاء، ولا اعتراض له عليه (روم ٩:٢٠-٢١) . فإن كانت لك قدرة واستطاعة، فليس ينبغي أن تلصق سيّئاتك باللّه.

ومعنى قوله : «إن أحب اللّه أن يُريَ غضبه هكذا» (روم ٩:٢٢) ، كان مائلاً. يقول : «لِمَ صارت المكافأة في هذا العالم لبعض الأشرار دون بعض، ولبعض الأخيار دون بعض؟» فيقول : إنّ اللّه أحبّ أن يُريَ بهذا أنّ الجزاء ليس هو في هذا العالم، لكن هذا العالم هو عالم العمل. ولهذا لم يكافئ[٥٩] كلّ الأخيار، ولم ينتقم من كلّ الأشرار، وإنّما انتقم من بعض الأشرار لئلاّ يُقدَّر أنّه يحبّ الأشرار، وكافأ[٦٠] بعض الأخيار ليعلم أنّه محبّ لهم.

الاصحاح السابع

غاية الناموس

(١٠:٤)

معنى قوله : «إن غاية الناموس المسيح للبرّ لكلّ مؤمن» (روم ١٠:٤)، أي : ما ضمّنه الناموس من أن يهب لنا البرّ (رج روم ٩:٣١) ، ولم يقدر عليه لضعف القائلين : هو الذي ضمن لنا المسيح أن يعطيناه من غير أعمال الناموس (رج روم ٩:٣٢)؛ فليس هو بمقابل للناموس، لكن ضمّ[٦١] إليه.

من بر الناموس إلى بر الإيمان

(١٠:٥-٦)

والرسول يفضّل التقوى التي من الايمان على التي من الناموس (روم ١٠:٥-٦)؛ فتقوى الناموس كانت مع عمّال الناموس، لقول موسى : «مَن يعمل بهذه يحيا بها» (روم ١٠:٥؛ لا ١٨:٥؛ رج غل ٣:١٢).

وتقوى الامانة مع حسن الثقة، وبالجملة، التقوى التي من الناموس عمل وشقاء، وتقوى الايمان مع حسن اعتقاد وثقة، لا مع تكاليف الناموس (روم ١٠:٥-٦).

طاعة الإيمان

(١٠:١٦)

ولأنّ ليس جميع الذين كانوا تحت الناموس انطاعوا للأمانة، ما[٦٢] قال : «إنّهم ليس بأسرهم انطاعوا للبشارة» (روم ١٠:١٦)، وليس هذا بعيب على

٥٥- V: في الهامش.
٥٦- V: بااسحق.
٥٧- V: يدعوه.
٥٨- V: عيسوا.
٥٩- V: يكاف.
٦٠- V: وكافي.
٦١- V: ضمم.
٦٢- ليس لها هنا دور النفي.

البشارة، فليس جميع أهل الناموس انطاعوا للناموس؛ فليس عدم الطاعة مَن لم يطعِ للبشارة عيبٌ عليها، لكن عيب عليه.

«ولهذا قال أشعيا: مَن الذي صدّق لسمعنا؟» (روم ١٠:١٦؛ رج أش ٥٣:١)، وبهذا دلّ على أنّ القابلين قليلون[٦٣]؛ فليس قلّة مَن آمن V302a مُسخّف للجنس ولا للوعد.

البقية الأمينة

(١١:٣-٨)

«فإيليّا[٦٤] يقول: إنّه لم يبقَ على الايمان إلا أنا وحدي» (روم ١١:٣؛ رج ١ مل ١٩:١٠ و١٤)، فكسر اللّه عُجبه بأن الباقين سبعة آلاف[٦٥] (روم ١١:٤؛ رج ١ مل ١٩:١٨)، ولم يكن هذا بمسقط للحق والأمانة.

ومعنى قوله: «إنّ الذي التمس اسرائيل، لم يجده» (روم ١١:٧؛ رج ٩:٣٠-٣٣)، يريد: إن التقوى التي التمسها اسرائيل من الناموس لم يجدها. وجد الذين استحقّوا من أفعالهم أن ينتخبوا أو بهم كُرّم الجنس ومَن سواهم اطُّرح.

ومعنى قوله: «إنّ اللّه أعطاهم روحاً مزعجة» (روم ١١:٨؛ رج أش ٢٩:١٠)[٦٦]، أي: تركهم وهواهم. ويشبه هذا قوله: «إنّ اللّه أعطاهم معرفة الباطل» (روم ١١:٨؛ رج أيضاً أي ١٥:٢؛ روم ١٠:٢). ومعنى الكل: إنّه خلاهم وهواهم.

الأصل والأغصان

(١١:١٦-١٧)

ومعنى قوله: «إن كان المبدأ طاهراً، فهكذا الأصل» (روم ١١:١٦). و«المبدأ» إشارة إلى المسيح، و«الأصل» إلى ابراهيم. وإذا كان الأصل هكذا، ففروعه هكذا إن تابت وعملت بالواجب (روم ١١:٢٤).

و«الأغصان» (روم ١١:١٧-١٩، ٢١، ٢٤) إشارة إلى قبيلة اليهود، و«الدهانة» (روم ١١:١٧) إلى علم مخافة اللّه الذي ظهر بالمسيح. «وزيتونة البَر» (روم ١١:١٧)، إشارة إلى الشعوب الغريبة التي آمنت.

الاصحاح الثامن

مجيء إيليا وتوبة إسرائيل

(١١:٢٥-٣٢)

قوله: «لا تكونوا حكماء برأي نفوسكم[٦٧] (روم ١١:٢٥)، فتظنّون أنّكم V302b قد فزتم بالخير، وانصرف اليهود عنه، فيقطعون رجاءهم بالتوبة قدامهم. فلعمى[٦٨] قلوبهم حدٌّ بِهِ يتيهون، وبهذا يشير إلى زمان مجيء إيليّا[٦٩]؛ ففي ذلك الوقت يعود إليه أنسابُه ويؤمنون بالمسيح.

ويأتي بشهادة من الكتاب بقوله: «يأتي من صهيون مخلّص» (روم ١١:٢٦؛ رج أش ٥٩:٢٠؛ مز ١٤:٧)، أي: إلى صهيون، وهذا إشارة إلى إيليا[٧٠]. و«يردّ الأمم من يعقوب باتّباعه لابن الهلاك» (روم ١١:٢٦)، «ومن بعدُ يكون العهد» (روم ١١:٢٧؛ رج إر ٣١:٣٣-٣٤)، يعني القيامة.

ومعنى قوله: «إنّهم أعداء من أجلكم» (روم ١١:٢٨)، أي: من أجل دعوتي لكم، صار واعداً[٧١] لي، وأنا لا أميّز في مصالحهم، وأقول: «إنّ اللّه لم يتندّم على اختيار آبائهم» (رج تث ٤:٣٧؛ لو ١:٥٥)، ولا اطّرحهم، ولكن هم كانوا علّة سوء لنفوسهم.

وليس عدم إجابة اليهود كانت علّة الرحمة على الناس، لكن الرحمة على الناس كانت علّة لاستجابتهم، فلا ينبغي أن يُكثروا القول في معناهم، لأنّهم، إن آمنوا قَبِلَهم اللّه، كما إن آمنتم أنتم، قبلكم اللّه[٧٢].

معنى قول السلّيح: «حبس اللّه الكلّ في عدم الطاعة، ليترحّم على كلّ أحد» (روم ١١:٣٢؛ رج غل ٣:٢٢؛ ١طيم ٢:٤؛ حز ١٨:٢٣)، لا نفهمه علة

٦٣- V: قليلين.
٦٤- V: فاليا.
٦٥- V: الف.
٦٦- أنظر تث ٢٩:٣-٤؛ أش ٢٩:١٠؛ كما أيضاً ١٩:١٤؛ ١ صم ١٦:١٤.
٦٧- V: في نفوسهم.
٦٨- V: فلعما.
٦٩- V: اليا.
٧٠- V: اليا.
٧١- V: واعدا.
٧٢- هناك كلمة صعبة القراءة!

ومعلولاً[٧٣]، لكن، لمّا خلق اللّه الطبع الانساني بقوّةٍ استطاعيّةٍ له، يميل بها نحو الخير V303a والشرّ (رج تك ٣:٥ و٢٢)، وهو أراد منه الخير بالإيثار، ليحسن له الجزاء؛ لأجل خلقه على هذه الصّفة، مال نحو الشرّ، لا بإرادة خالقه، فلم يرد خالقه إلا الخير، فلهذا أحسنت رحمته.

ورسالة بولس التي كتبها إلى الرّوم أبان فيها على أنّ الناموس لم ينفع آل إسرائيل، ولا الطبع للحنفاء (روم ٢:١٢-٢٩؛ ٧:٧-٢٥) وهم زاغوا[٧٤] عن الواجب، لولا مجيء المسيح.

فاليهود قالوا: إما أن يكون [الله خان][٧٥] آباءنا في عهده (روم ١١:١-٢؛ رج آ ٢٧)، أو المسيح لم يرد، فأراهم «أن من الوعد أن تصير الشعوب كلّهم أبناء لابراهيم» (روم ٤ : ١٦-١٨)[٧٦].

ولئلا يستعلي الشعوب على اليهود (روم ١١:١٨-٢٠)، أراهم أنّ هذا وصل إليهم بالتفضّل؛ فظاهر الكلام أن «حصر اللّه الكلّ في عدم الطاعة» (روم ١١:٣٢)، اليهود والشعوب، «ليترحّم عليهم» (روم ١١:٣٢).

أمّا اليهود، فلمّا أقاموا على العصيان (روم ١١:٣٠ و٣٣؛ رج آ ٢٠ و٢٥)، فأمنت[٧٧] نعمة اللّه على الشعوب ورحمهم (روم ١١:٣٠ و٣٢)، وأمّا الشعوب، فلما أطاعوا كانوا سببًا لعطف اليهود (روم ١١:١١-١٤؛ رج ١٠:١٩؛ تث ٣٢:٢١). فليس اللّه قهرهم على ذلك، لكن لما فعلوا الشرّ بإيثارهم (روم ١١:١٤)، رحم اللّه الجميع (روم ١١:٣٢).

ولا يأخذ ذلك علّة ومعلولاً[٧٨]، لكن قاله كما من عادة الكتاب، أو يكون يريد حصر اللّه الكلّ في عدم الاجابة، بقوى الحريّة التي أعطاهم، وهذا بالعرَض، فأراد منهم V303b الخير[٧٩] لأنهم مالوا نحو الجسمانيّات. وهو يترحّم عليهم في الآخرة بأن يقيمهم مع الأبرار. وإن كان يدينهم، فلم يخصّ بالقيامة وعدم الميتوتة الأبرار من دونهم.

وقوم قالوا: هذا شيء يخصّ الشعوب، أنّه جعل الشعوب إلى مجيء المسيح بهذه الحال، وافهم بـ «الغرض»، ليترحّم عليهم بمجيء ابنه.

واليهود حصرهم في عدم الاجابة (روم ١١:٣٢) من مجيء المسيح إلى مجيء إيليّا[٨٠]، ليترحّم عليهم في مجيء إيليّا[٨١]، وهذا لا يرتضيه المفسّر.

ومعنى «حَبَس اللّه الكلّ في عدم الطاعة، ليترحم على كلّ أحد» (روم ١١:٣٢)، وحصره لهم في عدم الطاعة، فإنّه خلق لهم قوّة استطاعيّة يفعلون بها الخير والشرّ، وأراد الخير، فمالوا إلى الشرّ. ولمّا مالوا، ترحّم عليهم، وأنعشهم. وإنّما خلق لهم قوّة استطاعة، لتكون أفعالهم بإيثارهم، فيستحقون الثواب والعقاب.

و «رحمته لهم في هذا العالم» (روم ١١:٣١)، بإمهالهم وإرشادهم، وفي العالم الآخر، بقيامتهم وتصييرهم غير مائتين.

وقوم قالوا: «حصر اللّه العالم في عدم الاجابة» (روم ١١:٣٢)، إشارة إلى عدم طاعة الشعوب إلى مجيء المسيح (روم ١١:٣٠)، وعدم V304a طاعة اليهود من مجيء المسيح إلى إيليّا[٨٢]، وهذا محال؛ فاللّه لا يجبر الناس على الحسنات والسيّئات، وإلاّ فلا يجب [أن] يعاقبهم ولا يكافئهم. وإنّما «الرحمة» (روم ١١:٣٠-٣٢) إشارة إلى استدراكه خطيئة آدم بالمسيح.

ومعنى «حبس اللّه العالم في عدم الطاعة» (روم ١١:٣٢)، أن خلاّهم وشأنهم من قوّة الاستطاعة الموجودة فيهم؛ و «ترحّمه عليهم» (روم ١١:٣٢)، لمّا مالوا وزاغوا.

الاصحاح التاسع

أتت ساعة النور (١٣:١١-١٣)

معنى قوله: «الآن دنت إلينا حياتنا» (روم ١٣:١١-١٢) وما بعده؛ أمّا «الحياة»، فإشارة إلى القيامة؛ فكأنّه

٧٣- ٧: ومعلول.
٧٤- ٧: زاغو.
٧٥- ٧: في الهامش.
٧٦- رج أيضاً روم ٩:٧-٨؛ تك ١٥:٦؛ ١٧:٢؛ مت ٣:٩؛ يو ٨:٣٣ و٣٧ و٣٩؛ غل ٤:٢١-٣١.
٧٧- قراءة غير أكيدة.
٧٨- ٧: ومعلول.
٧٩- ٧: الخيرا.
٨٠- ٧: اليا.
٨١- ٧: اليا.
٨٢- ٧: اليا.

يقول: الآن فلنا الحياة الحقيقيّة، ومبدأها الموت، وبعده ذو الرجل مفزع، وعند إيماننا الآن دنونا من الحياة[83].

«والمضجع النجس» (روم ١٣:١٣)، يشير به إلى الذي يشبه ما كان يفعله أهل سدوم، أو لأن الأبكار كان الأحبار أوّلاً يجتمعون معهنّ، ثمّ يُزوَّجنَ[84].

لا تحكموا على بعضكم

(١٤:١-٢٣)

ومعنى قوله: «والمريض في الأمانة أعطوه يداً» (روم ١٤:١)، أي: أعينوه.

في أوّل الدعوة، كان يجري بين المؤمنين من اليهود ومن الشعوب مِرَى[85]. وكان المؤمنون من اليهود يأخذون الناس بعمل السُنّة (روم ١٤:١-٢٣)، وهؤلاء يزرون باليهود ويقولون: V304b إنّ مجيء المسيح حرّرنا من ذلك.

فالسلّيح كتب يصلح بينهم، ويوصي الشعوب باحتمال اليهود، والزمان يصلحهم، ولا تقع المباينة وبسبب المآكل (روم ١٤:٢-٣، و٦ و١٣-٢٣).

«وأعمال اللّه» (روم ١٤:٢٠)، إشارة إلى الايمان به، فيقول: لا يجب أن تبتعدوا من البيعة لهذه العلّة.

ويوصّي الشعوب بأن تكون المآكل عندهم واحدة، ويتمسّكوا بهذا لنفوسهم، واليهود ينصلحون.

وقوله: «لا يُفترى على خيرنا» (روم)، أي: لا يلهو[86] بنا الغرباء بسبب هذا الخلاف.

والسلّيح كان يراعي في خطابه الزمانَ، والعرضَ، والسببَ الذي من أجله يتكلّم، والمخاطبَ؛ فكان الناس قريبيّ عهداً بالدعوة، فكان يكسرهم السلّيح، ويقول: كلّ واحد يتشاغل بما يخصّه (روم ١٤:٢-١٠).

ولهذا قال السيّد: «ما أتيت لألقي السلم في الأرض لكن الحرب» (مت ١٠:٣٤؛ لو ١٢:٥١). ولهذا كان يوصيهم السليح ويقول: «كلّ إنسان يمضي مع الشيء الذي عرفه. وأنت من أنت حتى تدين[87] عبداً ليس هو عبدك» (روم ١٤:١٠).

الإنجيل

(روم ١٦:٢٥)

و «إنجيـــلـــي» (روم ١٦:٢٥؛ رج ١٥:١٩؛ ٢:١٦؛ ١ قور ٤:٥؛ ٢ طيم ٢:٨)، يشير به إلى إنجيل لوقا. وقوله «يسلم بإنجيلي»، يريد: بشارتي بالايمان به.

تحقيق الوعود بيسوع

(روم ١٥:٨)

ولكيما يُرى مكرّماً لليهود، وأن العهود إلى الآباء صحيحة، ما[88] قال: يسوع المسيح اختير ليحقق الوعد (روم ١٥:٨).

ولكيما لا يفتخر اليهود على الشعوب، ما قال: إنّ الكتاب قال: «أشكر لك في الشعوب» (روم ١٥:٩؛ مز ٥٧:٩)، وما أحسن هذا التلطّف في الاصلاح بين الفريقين!

الاصحاح العاشر

البركة

(١٥:٢٩)

«تمام البركة بالانجيل» (روم ١٥:٢٩؛ رج ١٦:٢٥)، إشارة إلى قبوله الآلام بسببه؛ «فالبركة التامّة»، يريد بها: قبوله البلايا بسبب المسيح.

أخائيا

(١٥:٢٦)

وفي هذه الرسالة يقول: «إنـ[ـه] هو رئيس أخائية (١ قور ١٦:١٥).

وفي القورنثانيّين يسأل عن بيت اسطفانا، ويقول هو رأس أخائيا (١ قور ١٦:١٥). والجواب أن اسطفانا هو أب أفيطوس (أو إبِينَتُس؛ روم ١٦:٥)؛ وإنّما ذكر ههنا الابن لأنّه أوّل مَن آمن (روم ١٦:٥).

«وأرسطوس كان مدبّر المدينة» (روم ١٦:٢٣)، وان كان مؤمنًا.

أخبار بيبليّة

جداره

هي أمّ قيس الحاليّة التي تشرف على بحيرة الجليل، وتقع في الشمال الغربي من المملكة الأردنيّة. يُذكر هذا المكان في مت ٨:٢٩-٣٩ مع إخراج الشياطين من ممسوسين. سنة ١٩٩٨ اكتشف علماء الآثار من مايانس (المانيا) بازيليكا بخمسة أورقة تعود إلى زمن قسطنطين، وقد بُنيت فوق ناووس يعود إلى القرن الأوّل.

٨٣- V: الحيوة.

٨٤- لم نجد تفسيراً ولا مرجعاً حتّى الآن لهذا الموضوع.

٨٥- قراءة غير أكيدة.

٨٦- V: يلهون.

٨٧- V: تداين.

٨٨- ليست هنا للنفي.

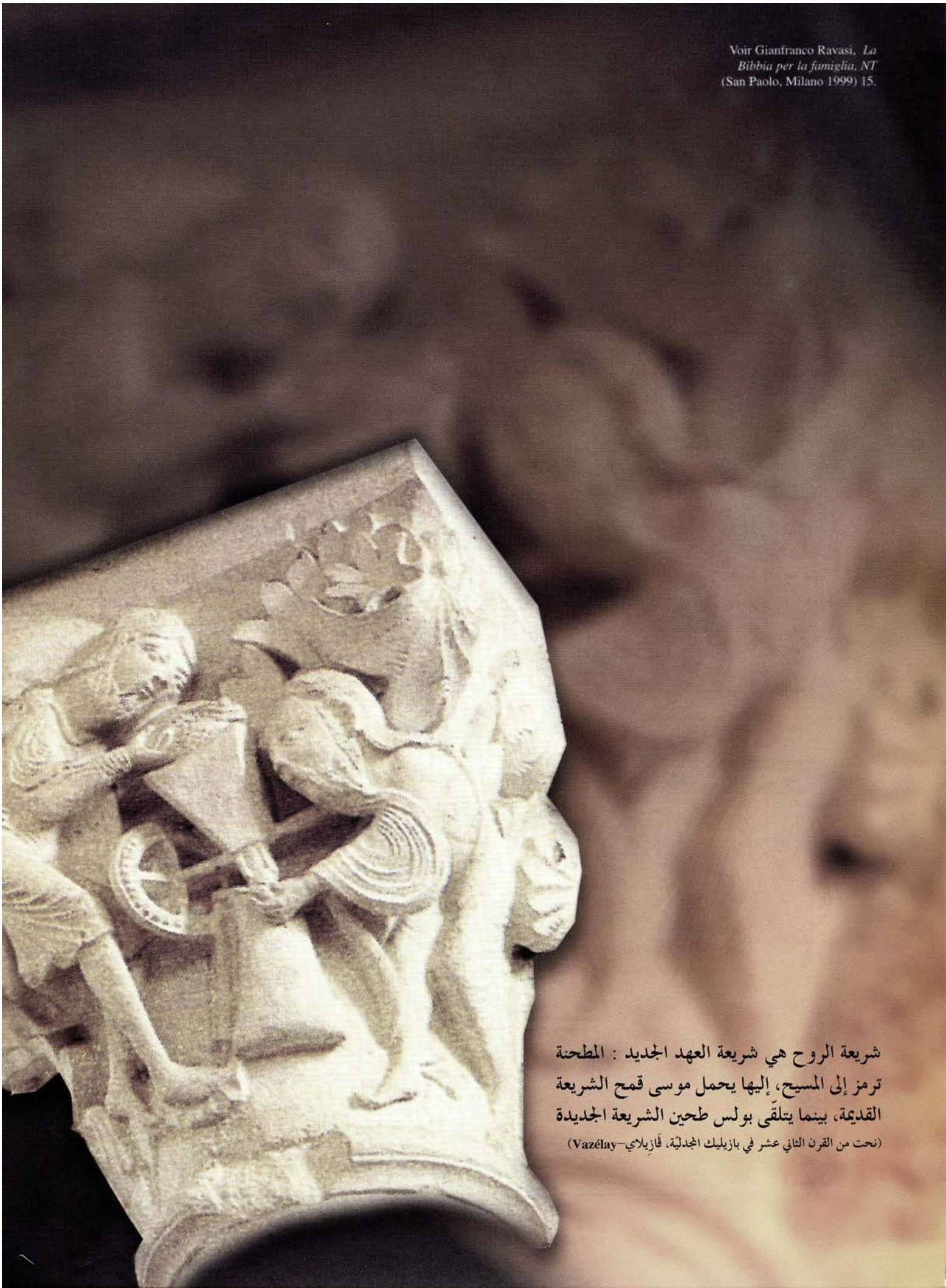

Voir Gianfranco Ravasi, *La Bibbia per la famiglia, NT* (San Paolo, Milano 1999) 15.

شريعة الروح هي شريعة العهد الجديد : المطحنة ترمز إلى المسيح، إليها يحمل موسى قمح الشريعة القديمة، بينما يتلقّى بولس طحين الشريعة الجديدة
(نحت من القرن الثاني عشر في بازيليك المجدليّة، فَازِيلاي—Vazélay)